wadod.org

الذخائر

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

في هذا العدد:

- الأحوال العامة في مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري ..... د. قيس كاظم الجنابي
- علم التصريف بين الاستقلال والتبعية ..... د. عبد الله عويقل السلمي
- أهداف مسكويه التربوية والنفسية ..... أ. عجيل نعيم جاب
- الحمامات العامة في بلاد الشام في العصر المملوكي ..... د. خالد زنبدر
- نقابة الأشراف في النجف ـ العراق ..... أ. كامل سلمان الجبوري
- القصيدة الشمسية ـ نادرة من التراث ..... تحقيق: أ. د. جورشيد رضوي
- نصوص من كتاب المعلمين للجاحظ ..... أ. منير حمدان علي
- محمد بن يزيد الحصني ـ حياته وما بقي من شعره ..... إبراهيم بن سعد الحقيل
- أحمد فارس الشدياق ـ صاحب مطبعة الجوائب ..... د. بدري محمد فهد
- مصادر علم التصريف، منوا وشروحا وحواشي ..... أ. د. هاشم طه شلاش
- تعقيب وتصويب حول فهرس مخطوطات مكتبة الجزائري النجفي ..... النجفي
- هوامش على فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء ..... أ. منير حمدان علي
- تصحيحات واستدراكات على معجم المؤلفين العراقيين لكوركيس عواد ـ القسم الأول ..... د. صباح نوري المرزوك
- قراءة في كتاب العروض للأخفش، بتحقيق د. أحمد محمد عبد الدايم ..... د. عمر خلوف
- الجامع للرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية ..... د. عبد الرحمن حسن العارف
- حول تحقيق القصيدة المنفرجة لابن النحوي ..... أ. د. زهير غازي زاهد
- ديوان الشاب الظريف، نظرات ومستدرك ..... أ. عباس هاني الجراخ

wadod.org

الأحوال العامة في مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري

الدكتور: قيس كاظم الجنابي(*)

توطئة:

لم يكن القرن العاشر الهجري عصراً عادياً حاله حال القرون السابقة له، وإنما كان مرحلة تحوّل من السلطات المملوكية إلى السلطات العثمانية، حيث خضعت مكة المكرمة إلى كيان الدول العثمانية، وهذا ما تعكسه الكتابات الميدانية التي عايشتها خلال هذا القرن، والتي وثّقت لأحداث كبيرة، واهتمت بأماكن لها وقعها الديني والتاريخي والسياسي في أذهان الناس؛ فكانت تواريخ هذه الحقبة بمثابة الإعلان عن تلك الأحداث، والإيحاء بضرورة دراستها وتمثلها.

الأحوال السياسية:

كانت إدارة مكة تابعة لحكم المماليك في مصر الذي يتولاه الشراكسة، فقد تولى قانصوه الغوري حكم مصر سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م[١] حتى زال حكمهم عن مصر والشام على يَدِ العثمانيين في عهد السلطان سليم (ت٩٢٦هـ) الذي استطاع الاستيلاء على حلب في سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بعد هزيمة الشراكسة في معركة (مرج دابق) المعروفة بمعركة (الريدانية)[٢]. كما سقط حكم قانصوه الغوري في مصر على يَدِ (طومان باي) الذي استمر حكمه مائة يوم، فكانت مدة سلطنته كلها شروراً وفتناً مع قصرها، وآخر الأمر هرب واختفى حتى قبض عليه وقطع رأسه في باب زويلة[٣]. حيث انتزع السلطان سليم مصر منه في أول محرم سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٦م، فتولى على مصر نيابة عنه خير الدين بك الشركسي، وهو أول من ولي مصر للعثمانيين، واستمر إلى سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م[٤]. وعند ذلك تولى السلطان سليم الاهتمام بالحرمين الشريفين مكة والمدينة حتى توفي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م[٥]، ثم تولى ابنه السلطان

---

* باحث وناقد أدبي ـ العراق.

(١) العصامي، سمط النجوم: ٤/ ٥٢.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور: ٥/ ٤٨ و٧١ و٧٢.

(٣) بدائع الزهور: ٣/ ٤٧٧؛ دحلان، الفتوحات الإسلامية: ٢/ ١٤٢.

(٤) ينظر: ابن طولون، أعلام الورى: ص٢١٤. قطب الدين الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ص٢٤. ينظر: الشوكاني، البدر الطالع ١/ ٢٦٥، ٢/ ٥٤ ـ ٥٥. نظمي زاده، كلشن خلفا: ص١٣٤. دحلان، تاريخ الدولة الإسلامية: ص١٠٣.

(٥) زادة، كلشن: ص١٩٧.

wadod.org

سليمان المعروف بـ (سليمان القانوني) السلطنة، والذي استطاع الاستيلاء على اليمن في سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م[١].

وخلال القرن العاشر الهجري تعرضت منطقة المشرق العربي إلى أحداث كثيرة، منها، دخول البرتغاليين الخليج العربي في أواخر سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م[٢]. كمنافس للدولتين العثمانية والصفوية، فقد احتل الصفويون بغداد في سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م[٣]. واستولى إسماعيل الصفوي على تبريز سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م واستقل بالحكم فيها[٤]. وحدث صراع بين الشريف بركات أمير مكة وبين مالك بن رومي وأخيه مشهور بن رومي في سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، وكذلك بين الشريف بركات وأخيه حميضة[٥]. كما ثار ولدا محمد كراي (خان القرم) على أبيهما وعمهما، فقتلا سنة ٩٢٩هـ، فتقلد غازي كراي الإمارة[٦]. وقامت الحرب بين المجر والدولة العثمانية سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م[٧].

وخلال هذه الحقبة حدثت بعض الاضطرابات التي كانت تنهش في جسد الدولة العثمانية، منها حركة خغيمان في الشام، ودخوله دمشق في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م[٨]. وعصى أحمد باشا السلطان سليمان، فادعى السلطنة لنفسه بمصر حتى مقتله سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، ثم تبعه قاسم باشا وإبراهيم باشا الذي تولى هو الآخر حكم مصر سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م وتمرد على السلطنة فقتل سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م[٩]. والذي تمكن قبل ذلك من دخول بغداد وضمها إلى كيان الدولة العثمانية، فتبعه السلطان سليمان حيث أقام فيها مدة ستة أشهر[١٠].

وخلال عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، دخل العثمانيون مدينة تبريز للمرة الثانية[١١]، لذا ظلت الأوضاع السياسية قلقة نتيجة لوجود صراعات حادة بين القوى المختلفة، إذ كان الصراع بين الشراكسة والصفويين قائماً، والصراع بين المماليك أنفسهم في مصر واضحاً، فضلاً عن الصراع بين العثمانيين والصفويين لغرض الاستحواذ على العراق والجزيرة العربية والشام، لكن ظهور الدولة العثمانية كدولة قوية بعد الربع الأول من القرن العاشر الهجري، حسم الأمر وجعل هذه الأقاليم موحدة تحت سيطرتها، وهو ما خلق استقراراً نسبياً، وإن كان لا يخلو من بعض العواصف، منها صراعات سلاطين آل عثمان أنفسهم مع أبنائهم وإخوتهم؛ لهذا دأب بعض سلاطينهم على قتل أولادهم الذكور خوفاً من نار الفتن وفساد المُلك واختلاف الكلمة وشقّ عصا الطاعة، كما فعل السلطان سليمان في أول توليته حينما شرع في قتل أولاده خوفاً من الفتن

(١) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص٥٨.
(٢) المصدر نفسه: ص٥٨.
(٣) نورس، العراق في العهد العثماني: ص٢١.
(٤) ينظر: زاده، كلشن: ص١٨؛ قطب الدين، الإعلام: ص٢٢٣؛ العصامي، سمط النجوم: ٤/ ٧٠.
(٥) دحلان، خلاصة الكلام: ص٤٩.
(٦) فريد، تاريخ الدولة العلية: ص٨٣.
(٧) المصدر نفسه: ص٨٥.
(٨) ابن فهد، إتحاف الورى: ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٩) دحلان، تاريخ الدول: ص١٠٤.
(١٠) المصدر نفسه: ص٩٠.
(١١) المصدر نفسه: ص٩٠.

wadod.org

والخروج عليه، فأرسل أمراً بإحضار ولده مصطفى بعد توجهه إلى تبريز فأمر بخنقه، وكذلك مقتل ولده بايزيد بعد وقوع فتنة قتل فيها نحو خمسين ألفاً[١].

الأحـوال الإداريـة:

كانت إمارة مكة تابعة لولاة الأمور في مصر، وحين تولى السلطان قانصوه الغوري السلطنة في مصر سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، أجرى عمليات كثيرة بمكة مما أنعش الظروف الاقتصادية فيها، إذ عمّر بمكة المشرفة باب إبراهيم بعقد كبير جعل علوّه قصراً، وبنى الحجر الشريف، ففرغ سنة ٩١٧هـ، وبعض أروقة المجلس، كما بنى عدة خانات وآبار في طريق الحج المصري[٢]. ومكة وقتذاك تتبع أمير جدة حسين الكردي الذي وصف بالظلم وأنه تقوّى بالمال وتأثر فتوجه إلى الهند في حدود سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م[٣]. وحين سقطت دولة الشراكسة كانت مكة بإدارة بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني، والذي كان قد أرسل ابنه أبا نمى محمد إلى مصر لمقابلة السلطان الغوري سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، وحين أصبحت مصر تحت السلطنة العثمانية أعلن هذا اعترافه بسلطتها على مكة، فأكرمه السلطان سليم وأشركه مع أبيه في إدارة مكة[٤]. فورد أمر سلطاني إلى شريف مكة بركات بقتل الأمير حسين الكردي أمير جدة للشراكسة الذي وصف بالظلم[٥].

وبعد استيلاء السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٦م أرسل الأمير مصلح الدين بك بالصدقات وبكسوة الكعبة فوصل المحمل بصحبة أمير الحاج المصري المقر العلائي، فهبّ شريف مكة يومئذٍ بركات لملاقاته[٦]. فجدد مصلح الدين بناء مقام الحنفية سنة ٩٢٣هـ[٧]، وأصلح في عهد سليمان (ت٩٧٤هـ) ثلاث عيون، وأجرى الماء؛ وذلك في سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م[٨]، ثم جدد الأمير خشكلدي أمير جدة بعض الأماكن، فهدم مقام الحنفية وبناه بطبقتين حيث جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم إلى سائر المسجد الحرام، لارتفاع أماكنهم[٩].

وقد حدثت بعض الاضطرابات في الحدود الإدارية لإمارة مكة في الأماكن التابعة لها، فقد داهم الفرنج المرسى المعروف بـ «أبي الدوائر» في سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، فقاتلهم أبو نمى بنفسه وترك الحج ونزل إلى جدة في جيش عظيم[١٠].

---

(١) المقدسي (ت١٠٣٣هـ): قلائد العقيان في فضائل آل عثمان، مخطوط، دار صدام للمخطوطات برقم (٧١٩): الورقة ١٤ ـ ١٥.
(٢) ابن ظهيرة، الجامع اللطيف: ص٢١١، ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ٨/ ١١٤، سمط النجوم: ٢/ ٥٢ ـ ٥٣.
(٣) قطب الدين، الإعلام: ص٢١٢ ـ ٢١٣؛ سمط النجوم: ٤/ ٥٣.
(٤) دحلان، الفتوحات: ٢/ ١٤٣.
(٥) العصامي، سمط النجوم: ٤/ ٥٥.
(٦) قطب الدين، الإعلام: ص٢٤١ ـ ٢٤٢.
(٧) الجامع الطيف: ص٢١٠.
(٨) المصدر نفسه: ص٢٨٥.
(٩) المصدر نفسه: ص٢١١.
(١٠) دحلان، خلاصة الكلام: ص٥٣.

wadod.org

الأحـوال الاقتصاديـة:

كان اقتصاد مكة المكرمة يعتمد على ما يصل إليها من الخارج لاعتمادها على مواسم الحج والعمرة، وبما أن هذه الحقبة الزمنية حقبة صراعات فإن جلَّ ما يصرف فيها له علاقة بتثبيت السلطة السياسية، أما مواردها فهي يسيرة تعتمد على الزراعة والرعي، أما الصناعات فتكاد لا تذكر؛ لذا فهي تقوم على حركة التجارة بين مكة والأقاليم الإسلامية الأخرى، لأنها مدينة مقدسة، أي مدينة عبادة وعلم، فإن أهلها كثيراً ما يرحلون إلى الأماكن التي تتوفر فيها حركة نشاط اقتصادي للاستفادة من صلات الأمراء والولاة، ولهذا كانت تعاني نوعاً من الكساد الاقتصادي قبل خضوعها للحكم العثماني وخصوصاً وإن عمليات الإعمار كانت يسيرة، باعتبار توفر فرص عمل لساكني مكة، وتخلق فيها حركة اقتصادية، فقد كان الشراكسة بمصر يخرجون من خزينة مصر صدقة أبقاها العثمانيون، كما فعل السلطان سليم حينما أخرجها سنة ٩٢٣هـ[١]، وأرسل صرة ضعف صرة والده، كما أرسل بعد احتلاله مصر مبلغاً قدره (٥٠٠) دوكاً لكل من الشرفاء و(٦ سكة) لكل من بقية المشايخ و(٣ دوكاً) لكل من أعيان المدينة، ودوكاً واحدة لكل من الفقراء خارج مكة[٢]، فصار إرسال الصرة تقليداً سنوياً[٣]، وهو ما دفع بأهالي مكة إلى الاستبشار بقدوم العثمانيين وميلهم إلى الاستجابة كما في استجابة أبي نمى المبكرة له عندما كان في مصر[٤]. أما السلطان سليمان قانه أخرج الصدقات من خزائنه العامرة بالتدريج إلى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر والحرمين الشريفين إلى أن استوعب صرفها جميعاً[٥]. والذي كان يرسل إلى الحرمين الصدقات، فأرسل لأهل مكة ثلاثة آلاف أدرب، وخمسة آلاف أردب لأهل المدينة[٦]. كما كان لحركة الإعمار التي تبناها السلطان سليم ثم ابنه سليمان أثراً واضحاً في إنعاش الأحوال الاقتصادية؛ لهذا قام أمراء مكة بإجراء العيون إلى مكة، والتي من أعظمها إجراء عين عرفات إلى مكة المشرفة، وكذلك إجراء عين حنين[٧].

الأحـوال الثقافيـة:

شهدت هذه الحقبة التاريخية استقراراً سياسياً وثقافياً واقتصادياً نسبياً، انتعشت فيه الأحوال الثقافية في مكة حيث ازداد عدد التصانيف في تاريخ مكة، ما تضمن إشارات واضحة لجهود العثمانيين في إعمار مكة، ومن ذلك ما كتبه جار الله بن فهد المكي (ت٩٥٤هـ) في كتابه (التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة)، ومختصره (نخبة بهجة الأمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان)، وكتابه (الخيرات الحسان في ترجمة السلطان سليمان)، وكتابه (منهل الظرافة بذيل مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة).

---

(١) المصدر نفسه: ص٥١.
(٢) جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني: ص٢٦. والدوك، عملة فضية، والسكة، عملة أيضاً.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٧.
(٤) دحلان، الفتوحات: ٢/١٤٣.
(٥) قطب الدين، الإعلام: ص٢٨١.
(٦) القطبي، أعلام العلماء: ص١٠٩، دحلان، خلاصة الكلام: ص٥١. والأردب، مكيال بمصر: ٤٤٥٥.
(٧) قطب الدين، الإعلام: ص٢٨١، القطبي، أعلام العلماء: ص١١٠ - ١١١. العصامي، سمط النجوم: ٤/٨٥.

wadod.org

وكان عبد العزيز بن عمر بن فهد (ت٩٢١هـ) قد ألّف كتابيه: (غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام)، و(بلوغ القرى لذيل إتحاف الورى)، وكذلك ألّف جمال الدين بن ظهيرة المخزومي (ت٩٦٠هـ) كتابه (الجامع اللطيف في فضل وبناء البيت الشريف)، ثم تبعه قطب الدين الحنفي النهروالي (ت٩٨٨هـ) بكتابه (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام).

وظهرت في هذا القرن جمهرة جليلة من المصنفين والشيوخ من أمثال: شمسي الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وشمس الدين بن طولون (ت٩٥٣هـ)، ولو تتبع الباحث مشاهير العلماء في مختلف العلوم من القرن العاشر الهجري لوجد مؤلفاتهم وتصانيفهم حافلةً بالكثير من العلوم والفنون والآداب، فمن علماء التفسير والأصول والعلوم الشرعية والعقلية والفرائض والحساب:

- زين الدين عرفة بن محمد الدمشقي (ت٩٣٠هـ).
- شمس الدين أبو علي محمد بن علي بن عبد الرحمن الشهير بابن عراق (ت٩٣٣هـ).
- شمس الدين محمد بن علي الحريري (ت٩٣٤هـ).
- محي الدين محمد بن محمد القوجوري الرومي الحنفي (ت٩٣١هـ).

وفي النحو والقراءات والتجويد والفقه نجد كلاً من:

- كريم الدين عبد الكريم بن عبد القادر بن عمر بن محمد الجعبري المقري (ت٩٣٩هـ).
- بدر الدين حسن بن اسكندر النصيبي الحلبي الضرير المعروف بابن شيخ حسن (ت٩٥١هـ).

ومن المؤرخين ذوي المكانة العالية والثقافة الموسوعية، كل من:

- شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ).
- جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

ومن الشعراء كل من:

- عائشة الباعونية، أم عبد الوهاب الصوفية، لها شعر كثير، توفيت سنة ٩٢٢هـ.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد السودي الشهير بالهادي اليمني (ت٩٣٢هـ). وله ديوان شعر، وولي المشايخ للمشهورين من مشايخ الصوفية.
- عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي (ت٩٣١هـ).
- جمال الدين محمد بن قانصوه الغوري الشركسي (ت٩٤٧هـ).
- زين الدين عبد اللطيف بن علم الدين سليمان بن أبي كثير الديربي (ت٩٥١هـ).

ومن المشتغلين بالطب نجد:

- أمير شريف العجمي المكي (ت٩٥١هـ) الذي وصف بعلّامة الطب.

وعلى الجانب الآخر ونتيجة لتولي العناصر غير العربية لأمر المسلمين فإن الحركة الثقافية طفقت تميل نحو التزود بالثقافة التركية، وتفضيل تعلم اللغة التركية على العربية، مما أدى تدريجياً إلى الاهتمام بالأدب العامي، فظهرت أنماط من الأدب الشعبي، مثل سيرة (عنترة بن شداد) وسيرة (الظاهر بيبرس)، كما اشتد الإقبال على قراءة (ألف ليلة وليلة)[١].

(١) ابن طولون، أعلام الورى: ص٤٦.

wadod.org

الأحـوال الاجتماعيـة:

كانت مكة المكرمة خاضعة لحكم المماليك في مصر حتى زواله على يد السلطان العثماني سليم (ت٩٢٦هـ)، وكان المماليك يتناقلون السلطة الواحد عن الآخر ـ وجلهم ممن مسهم الرّق ـ تحت ظل المؤامرات والدسائس وأساليب الغدر، واغتنام الفرص من أجل الاستحواذ على السلطة؛ وهي سهلة في ظل ظروف تسلط الخدم والمماليك والنساء، وهذا يعني أن الحياة الاجتماعية كانت تخضع لوجهة نظر أولئك الأشخاص، ولقيمهم، وعاداتهم، ومتغيرات ظروفهم، وقناعاتهم، وقدراتهم على خدمة مناصبهم، وتظاهرهم بالتزام السلوك القويم، فكانت مكة تنال بين آونة وأخرى عنايةً خاصةً مرتبطة بمصلحة السلطان المملوكي في مصر، مع بعض الصلات بولاة دمشق في بلاد الشام، وأحياناً مع ولاة بغداد، وهذا يعني أن الأحوال السياسية كانت تشهد تمزقاً واضحاً، وأحياناً تنافراً بين السلطان وولاتهم، أو بين السواد الأعظم من الناس والسلاطين، حيث طغت النزاعات المادية والولاءات الشخصية والمطامع الذاتية، فكل منهم يرغب في أن تكون مكة من ضمن ممتلكاته، وأن تكون الخطبة أثناء موسم الحج من نصيبه، وهذا التمزق لا بدّ وأن تكون له تبعات اجتماعية، في وقت كانت مكة المكرمة تدار من قبل أمرائها آل قتادة الحسنيين، وبالذات الشريف بركات بن محمد بن حسن بن عجلان، وحين تسلط قانصوه الغوري سنة ٩٠٦هـ بمصر أمر ببناء بركة بدر وعدة خانات في طريق الحج المصري[١]. فكان لذلك أثره في تحسين الأوضاع الاجتماعية من خلال توفير فرص العمل وتسهيل حركة النقل إلى مكة المكرمة، ولكن مكة كانت تخضع لسلطة أمير جدة حسين الكردي الذي بنى حول جدة سوراً سنة ٩١٧هـ، والذي كان ظلوماً غشوماً يسفك الدماء، ولا يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء[٢]. مما يعني أن الظروف الاجتماعية في مكة كانت سيئة، إذ يضرب الظلم أطنابه في أرجاء سلطتها، ولهذا انتقم منه المكيون بعد زوال حكم الشراكسة حينما ورد الأمر إلى أمير مكة بقتل حسين الكردي[٣]. مما كان له أثره في الترحيب الواضح بالسلطة العثمانية عند المكيين.

ومن المظاهر الدينية والاجتماعية انتشار التصوّف وتأثيره في اختيار العزلة والزهد والترفع عن الملذات، وهو ما تنبه إليه السلطان سليم (ت٩٢٦هـ) حين دخل الشام، فأمر بتعمير قبر محي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ)[٤]، وعمر ابنه سليمان (ت٩٧٤هـ) تكية باسم والدة السلاطين العظام يعمل فيها في كل يوم للفقراء خبز وطعام[٥]. ويبدو أن التصوف في عهدي المماليك والعثمانيين لقي اهتماماً خاصاً لأسباب سياسية، غايتها إبعاد العناصر العربية عن سدة الحكم، وتشجيع الزهد والانطواء والميل نحو الترفع عن المناصب وإيثار العزلة والمجالس الصوفية التي تفصل الدين عن السياسة، وهو ما شاع أيضاً خلال حقبة الحروب الصليبية، كما جرى تجديد بناء مقام الحنفية من قبل مصلح الدين بأمر السلطان سليم، وكذلك فعل خشكلدي أمير جدة في

(١) العصامي، سمط النجوم: ٤/ ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) قطب الدين، الإعلام ص٢١٢ ـ ٢١٣.
(٣) العصامي، سمط النجوم: ٤/ ٥٣.
(٤) ابن طولون، أعلام الورى: ص٢٢٥.
(٥) العصامي، سمط النجوم: ٤/ ٨٢.

wadod.org

عهد السلطان سليمان[١]. وكانت الدولة الصفوية قد ترعرعت بين أحضان التصوّف في عهد بايزيد العثماني، حينما ظهر إسماعيل بن الشيخ حيدر جنيد الصوفي في سنة ٩٠٥هـ[٢]، والذي وصف بأنه فتك في البلاد وسفك دماء العباد[٣] فاستقل التصوف لتكوين دولته.

وبعد تولي السلطان سليم السلطنة أرسل الصرة والصدقات والهدايا إلى مشايخ مكة[٤]، فشعر المكيون برعاية خاصة أعطت ثمارها في تشجيع العلم، وتقليل الإحساس بالغبن، وخصوصاً وأن السلطان الغوري بمصر كان قد حبس جماعة من أعيان مكة، منهم العلامة القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة[٥].

كان من نتائج استقرار الحياة الاقتصادية جزئياً في مقتبل الحكم العثماني لمكة وجود حرية واضحة في التصرف الاجتماعي، ولا سيما في تلقي العلوم وتنظيم مجالس الاهتمام بالحديث النبوي الشريف، وكان السلطان سليم قد شجع على إخراج الصدقات من خزائنه العامة إلى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين[٦].

الأحـوال العمرانيـة:

خلال القرن العاشر الهجري جرت العديد من أعمال الإعمار كان نصيب العثمانيين كبيراً، فقد عمّر قبلهم المماليك، وذلك قبل زوال حكمهم في سنة ٩٢٣هـ على مكة، حيث أوقف العثمانيون بيوتاً عدة في مكة وعملوا حنفية للوضوء بجوار زمزم ملاصقة للحنفية التي عملها المماليك بمكة آخر دولة الشراكسة بعد سنة ٩٢٠هـ[٧]. وأقاموا كذلك قبة مقام الحنفيين[٨] وكذلك عمارة عين عرفة سنة ٩٢٨[٩]. وعمرت قبة الوحي في عهد سليمان القانوني في سنة ٩٣١هـ، حيث نقضت جدرانها من جميع الأماكن الثلاثة التي بها؛ وهي: مولد فاطمة، وقبة الوحي، والمختبأ مع واجهتها، والرواق القبلي بها، فعمّرت عمارة حسنة قوية متينة، منها الواجهة بحجارة صفر منحوتة، وبجانبها خلوة مشرفة على مولد السيدة فاطمة (رض) مع بقائه على حاله، في وسطها محرابان وعدة طبقات مع شباك مشرف على صحن المكان، وقبة ثالثة على الوضع الذي يقال له المختبأ مع هلالات علوّها وتخريم جدرانها بالنورة والجص، وتحسينها وتجديد أبوابها، وعمارة الرواق المقدم فيها[١٠].

---

(١) قطب الدين، الإعلام: ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٢) قطب الدين: الإعلام: ص٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٤) جارشلي، أمراء مكة: ص٢٦.
(٥) دحلان، الفتوحات: ٢/١٤٣.
(٦) قطب الدين، الإعلام: ص٢٨١.
(٧) جار الله بن فهد المكي، نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة، دراسة وتحقيق: قيس كاظم الجنابي، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي (بغداد، ١٩٩٩): ص٨٣.
(٨) المصدر نفسه: ص٨٤.
(٩) المصدر نفسه: ١٠٢.
(١٠) جار الله بن فهد المكي: نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة، ص١١٢.

wadod.org

وعمروا في سنة ٩٣٣هـ سبيلين للمياه بجانب درب المعلاة علو مكة، أحدهما شامي. وثانيهما يماني[١]. وفي سنة ٩٣٥هـ أعيد بناء وإصلاح بركة السلم بعد أن انقطع ماؤها واندرست أماراتها وانهدمت لطول الزمان بعمارتها[٢].

وفي سنة ٩٣٨هـ بني رباط وتكية للفقراء بمكة ينتفع بها كل قاطن وسالك[٣]. وفي سنة ٩٣٩هـ تم تعمير سقف الكعبة الشريفة، لأن المطر نزل من أعلاها إلى أسفلها[٤].

وفي سنة ٩٤٧هـ برزت المراسيم في عمل رباط للفقراء، وسبيل ماء، وكُتّاب للأيتام[٥]. وفي سنة ٩٤٨هـ جرى حفر أساس حوالي قبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدي (رض) زوج النبي ﷺ، فبني عليها قبة لطيفة في وسطها محراب وبوابة طريفة بحجارة الماء الصفر المنحوتة، وعلى بابها دكتان لطيفتان، ولم تكتمل إلا في السنة التي بعدها[٦]. وفي سنة ٩٤٩هـ، ابتدىء بعمارة سطح المسجد الحرام من الجهة الشامية، وهي من منارات باب السلام إلى منارة العمرية البهية[٧].

وهكذا كانت مكة المكرمة محطة أنظار المسلمين، وهي في تطور دائم وتحسين وترتيب واستعداد للعمرة والحج، وكان أولو الأمر من كل المسلمين يحاولون أن يعبروا عن اعتزازهم بها لكسب ود المسلمين، فهي التعبير الحي والفاعل عن صلة السلطات العثمانية بالإسلام، وبأهل مكة الذين كانوا يعبرون عن هذه المنجزات العمرانية بالامتنان والمحبة، لأنها تخلق حركة اقتصادية في هذا البلد العزيز، المقدس من قبل جميع المسلمين.

خاتمـة:

من خلال ما سبق ذكره يتبين بأن الأحوال العامة لمكة مرتبطة بالجوانب التي تشكل تحريكاً للأوضاع الاقتصادية، فالأوضاع الثقافية والإدارية والاجتماعية تخضع لتشجيع القائمين لأهل مكة في تحسين أوضاعهم الاقتصادية، فتنتعش الحياة في كل جوانبها، وهو انتعاش له صلة بأيام الحج وأوقات العمرة بما تلقاه المدينة المقدسة من دعم واهتمام، وفقاً لقوة السلطة العثمانية التي تحاول كسب ود المسلمين من خلال محلات الإعمار التي تقوم بها.

---

(١) المصدر نفسه: ص١٢٢.
(٢) المصدر نفسه: ص١٢٣ـ ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ص١٢٥.
(٤) المصدر نفسه: ص١٢٦.
(٥) المصدر نفسه: ص١٢٧.
(٦) المصدر نفسه: ص١٤٥.
(٧) المصدر نفسه: ص١٢٧، ص١٤٥.

wadod.org

علم التصريف
بين الاستقلال والتبعية

الدكتور عبد الله بن عويقل السلمي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

ضوء على البحث:

إن المتتبع للدراسات العربية ـ قديمها وحديثها ـ يجد أنها اهتمّت اهتماماً كبيراً بعلماء النحو ومسائلهم، وتاريخهم ومؤلفاتهم، وقد وفّر هذا الاهتمام الذي استأثر بجهود الباحثين مادةً ضخمةً عن هؤلاء جميعاً، أما الصرف فقد ظل نافلةً لمنْ يرغب في صرفِ جزءٍ من وقته كيما يكتب فيه تأليفاً أو يضع له تاريخاً مستقلاً.

إن هذا الأمر يستلزم من المختصين التوقف عنده والبحث فيه، لمعرفة أسبابه ودوافعه، وتحديد العوامل التي جعلت النحو طاغياً على التصريف في الدرس والتأليف.

لقد حاولت في هذا البحث مناقشة هذه الظاهرة، فابتدأت بتعريفٍ موجزٍ للتصريف في اللغة والاصطلاح، ثم عرّجت على الفرق بين كلمتي الصرف والتصريف، ثم ذكرت الفائدة المرجوة من هذا العلم، مُعضداً ما أقول بأقوال العلماء، وأخيراً عرضت الآراء التي تحدثت عن نشأة علم الصرف، مناقِشاً ما ينبغي لي مناقشته، مُرجّحاً ما ظهر لي رُجحانه.

ولقد تطرقت أيضاً في هذا البحث إلى بداية استقلال علم التصريف، موضحاً ما رأيته في هذا الصدد من خلال سرد أسماء المؤلفات التصريفية المستقلة التي سبقت المازني والتي لحقته، هذا المازني الذي يُعدّ عندي رائدَ مرحلة الاستقلال بحق، كما أنني توقفت طويلاً عند قضية تبعية الصرف للنحو، وبحثت في أسبابها ودوافعها، وأثبتُّ بعد ذلك ما توصلت إليه، وفي نهاية المطاف ختمت هذا البحث بنماذج من المسائل النحوية التي تدل دلالةً قوية على اتصال النحو بالتصريف لأنها مسائل موسوسة بالسمات اللصيقة بهما معاً من حيث أن للتصريف تأثيراً واضحاً في الحكم النحويّ فيها.

وقد دفعني إلى هذا البحث ما فيه من جدةٍ وطرافة، بالإضافة إلى قلة من كتبوا عنه

(*) أستاذ النحو والصرف بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

wadod.org

وندرة ما كُتِبَ فيه، فأنا لم أجد أحداً توقف باحثاً بعمق وشمول عن موقع التصريف في التأليف النحوي اللهم إلا عدداً يسيراً جدًّا لا يُؤبَه به، ولم أعثر على بحث متكاملٍ شامل عميق في الأمر كله، وكل ما عثرت عليه لا يعدو أن يكونَ إشاراتٍ هنا وهناك، تعالج بوَجَلٍ وبطريقةٍ جزئيةٍ بعض الموضوعات الصرفية، مما حملني على تسليط الضوء على مسألة (تبعية التصريف للنحو وطغيان النحو عليه)، مجلياً أسباب هذا، موضحاً العواملَ والظروفَ التي أدت إليه.

والله - وحده - ملهِم الصواب ومسدِّد الخُطا.

* * * *

التصريف في اللغة والاصطلاح:

من معاني مادة (صرف) في اللغة:

أ - الرجوع عن الشيء، قال تعالى: ﴿... ثم انصرفوا...﴾[١]، أي: رجعوا عن المكان الذي اجتمعوا فيه[٢].

ب - التغيير والتحويل، قال تعالى: ﴿وإذا صُرِفَتْ أبصارُهم تِلقاءَ أصحاب النار...﴾[٣]، أي: حُولت، ويقال: صَرَفَه يَصْرِفَه صَرْفًا، أي: ردَّه عن وجهه[٤].

جـ - الإيضاح والإبانة[٥]، قال تعالى: ﴿....وصرَّفْنا الآيات...﴾[٦]، ﴿...وكذلك نصرف الآيات...﴾[٧].

د - الإنفاق، يقال: صَرفتُ الدراهم، أي: أنفقتها[٨].

هـ - الفضل، يقال: لهذا صَرْفٌ على هذا، أي: فضلٌ[٩].

أما في الاصطلاح، فقد عرَّفه سيبوية بقوله: «هذا باب ما بُنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلَّة، والمعتلَّة، وما قيسَ من المعتلّ الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل»[١٠].

---

(١) من الآية ١٢٧، التوبة.
(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب ٢/ ٤٣٢، ٤٣٣.
(٣) من الآية ٤٧، الأعراف.
(٤) انظر اللسان ٢/ ٤٣٢، تاج العروس ٦/ ١٦٤، ١٦٥.
(٥) انظر اللسان ٢/ ٤٣٢، ٤٣٣.
(٦) من الآية ٢٧، من الأحقاف.
(٧) من الآية ٥٨، الأعراف.
(٨) انظر الجوهري، الصحاح ٤/ ١٣٨٦.
(٩) انظر الأزهري، تهذيب اللغة ١٢/ ١٦٢، الصحاح ٤/ ١٣٨٦.
(١٠) سيبويه، الكتاب ٣/ ٣١٥.

wadod.org

وشرح السيرافي هذا التعريف قائلاً: «أما التصريف، فهو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب، حتى تصير على مثال كلمةٍ أخرى، والفعل تمثيلها بالكلمة ووزنها بها...»[١].

وأما ابن جنّي، فقد عرفه في الاصطلاح بقوله: «التصريف أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف، أو تحريف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصريف فيها والتصريف لها»[٢]، وقوله في موضع آخر: «التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى»[٣].

وعرّفه بما يقْرب من هذا ابن يعيش[٤]، والرضي[٥]، وابن مالك[٦]. وكل هذه التعريفات تتفق في المؤدّى وإن اختلفت في الألفاظ، ولعل أوضح ما يحدّ به التصريف في الاصطلاح من خلال كل ما سبق هو: أنه علم يتناول أبنية الكلمة العربية، والأحوال التي تعرض لها غير الإعراب والبناء[٧].

ويبدو من المناسب أن أشير في هذا السياق إلى فصاحة كلمتي (التصريف والصرف) وسلامة استعمالهما، مع أن المتتبع لعبارات المتقدمين يلاحظ أنهم كانوا يؤثرون ـ غالباً ـ كلمة (التصريف)، ابتداءً من سيبويه حتى عصر ابن مالك المتوفّى سنة ٦٢٧هـ، ويكثرون من هذا الاستعمال[٨]. ولعلّ الذي دفعهم إلى هذا الإيثار هو رؤيتهم ما يقوم به هذا العلم من كثرة التغيير والتحويل، وكثرة التصريف في أبنية اللغة[٩].

أما المتأخرون فقد غلب عليهم وشاع عندهم استعمال مصطلح (الصرف)[١٠]، دفعهم إلى ذلك أنه الأصل، وأنه أخصر من (التصريف) وأنه فوق ذلك مُشاكِلٌ للنحو في الوزن[١١].

---

(١) السيرافي، شرح كتاب سيبويه ٥/٥٨٦، وانظر المنصف ٣/ ٢٧٤.
(٢) ابن جني، التصريف الملوكي ٧.
(٣) ابن جني، المنصف ١/ ٣، ٤.
(٤) انظر ابن يعيش، شرح التصريف الملوكي ١٨.
(٥) انظر الرضي، شرح الشافية ١/ ٦، ٧.
(٦) انظر ابن مالك، التسهيل ٢٠١.
(٧) انظر العصام، شرح الشافية ٤، الأزهري في شرح التصريح ٢/ ٣٢٥ـ٣٥٣، الأشموني، شرح الألفية ٤/ ١٧٥ـ١٧٦، عبد الكريم الأسعد، الوجيز في التعريف بالصرف وتاريخه ٦، محمود السمان، اليسير في الصرف وتطبيقاته ١/ ٧.
(٨) انظر الكتاب ٢/ ٣١٥، المنصف ١/ ٢، شرح التصريف الملوكي ٩٩.
(٩) انظر نقرة كار، شرح الشافية ٤، مصطفى النماس، الضياء في تصريف الأسماء ٩، الوجيز في التعريف بالصرف ٥، ٦.
(١٠) يقول ابن مالك مثلاً وهو من أعلام المتأخرين في ألفيته: حرف وشبهه من الصرف بَرِى
(١١) انظر الوجيز في التعريف بالصرف ٥.

wadod.org

ومن الغريب أن يخالف أحد الباحثين المعاصرين في هذا فيجعل (الصرف) مصطلح المتقدمين و(الصرف) اصطلاح المتأخرين[١]. وهو ـ فيما نرى ـ خطأ لا يؤيّده التتبع والنظر.

على كل حالٍ، لقد نُقلَت هاتان الكلمتان من المصدرية إلى العلمية، لاتفاق كل منهما مع الأخرى في الدلالة على التغيير، وبهذا أصبحتا عَلَمَين مشتركين على هذا العلم.

فائدة التصريف وأهميته:

تظهر فائدة علم التصريف في قول القلقشندي على لسان الصرف: «بي تُعرف أصول أبنية الكلمة في جميع أحوالها، وكيفية التصرف في أسمائها وأفعالها، وما يتصل بذلك من أحوال الحروف البسيطة وترتيبها واختلاف مخارجها، وبيان تركيبها، والأصلي منها والزائد، والمهموس والرخو والشديد، والصحيح والمعتل، وتحريره وكيفية التثنية والجمع، والفصل والوصل، والابتداء والقطع، وأنواع الأبنية، وتغيُّرها عند اللواحق، وكيفية تصريف الفعل عند تجرّده من العوائق، وأمثلة الألفاظ المفردة في الزنة والهيئة، وما يختص من ذلك بالأسماء والأفعال، وتمييز الجامد منها والمشتق، وأصناف الاشتقاق ،وكيف هو على التفصيل والإجمال»[٢].

ويزيد نقره كار فائدة الصرف وأهميته بياناً وتجليةً بقوله: «فإن من اتقى الله في تنزيله، وأجال النظر في تعاطي تأويله، وطلب أن يُكمل له ديانته، ويصحّ له صلاته وقراءته وهو غير عالم بهذا العلم، فقد ركب عمياء، وخبط خبط عشواء، إذ به تنحلُّ العويصات الأبية، وتعرف سعة اللغات العربية، إذ القياسية منها أكثر من السماعية، ومنه أخذت الأولى وبه يتصرف في الأخرى»[٣].

أما الشيخ الحملاوي، فقد صور فائدة الصرف تصويراً واضحاً حين قال: «وبعد، فما انتظم عقد علمٍ إلا والصرف واسطته، ولا ارتفع مناره إلا وهو قاعدته، إذ هو إحدى دعائم الأدب، وبه تُعرف سعة كلام العرب، وتنجلي فائد مفردات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهما الواسطة في الوصول إلى السعادة الدينية والدنيوية»[٤].

نشأة علم التصريف:

تعددت الآراء في بداية هذا العلم، واختلفت في تحديد من وضعوا أسسه الأولى، وفي البداية نسجل ما لاحظناه على بعض هذه الآراء من المبالغة، وفي بعضها الآخر من الخطأ الجلي، في حين بقيت طائفة منها محتاجة إلى مزيد من التمحيص، مما يجعلها ميداناً للنقاش

(١) انظر محمود السمان، اليسير في الصرف وتطبيقاته ١/ ٧.
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ٢٠٧.
(٣) نقره كار، شرح الشافية ٢/ ٣.
(٤) أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف ١ـ٢.

wadod.org

والاجتهاد في سبيل الوصول من خلالها إلى يقينٍ أو ما يُشبه اليقين.

ومن هذه الآراء:

١ ـ إن هذا العلم موجود قبل الإسلام، بل هو موجود من بداية الجنس البشري، كما يقول احمد بن فارس الذي ذهب إلى أن اللغة العربية وعلومها ـ ومنها الصرف ـ توقيف من الله تعالى لا اصطلاح واختراع[١]. وهذا الرأي فيه مبالغة كبيرة جلية، وربما كان مرده إلى أن مدلول الصرف عند ابن فارس هو غير مدلوله عند العلماء الذين ألّفوا فيه من قبل ومن بعد، فهو يرى أن معنى التصريف هو ما بثّه العرب من الكلمات، وأن لذلك أوجهاً في العربية، ومن ثم نسب إلى الجاهلية معرفتهم بعلم الصرف، وذهب إلى أنه من العلوم التوقيفية التي علّمها الله آدم عليه السلام.

٢ ـ أن واضعه معاذ بن جبل، وهو ما نقله السيوطي بقوله: «ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف هو معاذ هذا... وقد وقع في شرح القواعد لشيخنا الكافيجي أول من وضعه معاذ بن جبل، وهو خطأ بلا شك، وقد سألته عنه فلم يجبني»[٢]. ووجه هذا الخطأ الذي ذكره السيوطي ـ عندي ـ أنه خبر من متأخّر لم يستند على رواية من متقدّم، كما أنه لم يشتهر في سيرة الصحابي معاذ بن جبل هذا الأمر، هذا بالإضافة إلى أن تدوين العلوم العربية ووضع قواعدها كان بعد وفاة هذا الصحابي الجليل بزمن طويل. وأرجّح أن يكون المقصود هو معاذ بن مسلم، وذكر هنا من قبيل تحريف النساخ.

٣ ـ إن هذا العلم بدأ على يد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الذي فطن إلى الخطأ في بعض أبنية الكلمات وهيآتها عند بعض المتكلمين، فوضع في البناء باباً أو بابين هما أساس علم الصرف[٣].

٤ ـ إن واضعه أبو الأسود الدؤلي المتوفّى سنة ٦٩هـ، وهو واضع علم النحو أيضاً على أصح الروايات[٤]. وربما دعا أبو الأسود إلى وضع الصرف أن هذا العلم كان في نشأته مندرجاً في علم النحو، وكان يطلق عليهما من أجل ذلك ـ غالباً ـ علم العربية. قال ابن سلاّم: «وكان لأهل البصرة بالعربية قدمه، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية، وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»[٥].

---

(١) انظر ابن فارس، الصاحبي ٨ ـ ١١.

(٢) جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/ ٢٩١، ٢٩٣.

(٣) انظر شذا العرف ٣، في الصرف العربي ٢١، الوجيز في التعريف بالصرف ١٨، ابن عصفور والتصريف ٢٨، تصريف الأفعال والأسماء ١٤.

(٤) وهناك روايات أخرى متعددة في واضع علم النحو، فمنها من رأى أنه علي بن أبي طالب، ومنها من رأى أنه نصر بن عاصم، ومنها من ذهب إلى أنه عبد الرحمن بن هرمز.

(٥) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ٥.

wadod.org

٥ ـ إن الذي وضع هذا العلم معاذ بن مسلم الهراء المتوفّى سنة ١٨٧هـ[١]. وهو رأي يستند إلى رواية تذكر أن أبا مسلم[٢] لمّا أحدث الناس النحو لم يحسنه وأنكره، وهجا أصحاب النحو، فرد عليه معاذ الهرّاء[٣]. وكان أبو مسلم قد جلس إلى معاذ الهرّاء فسمعه يناظر رجلاً... فقال معاذ للرجل: كيف تقول من ﴿توزُّهم أزّاً﴾[٤] يا فاعلُ افعل، وصلْها بيا فاعلُ افعل من ﴿وإذا الموؤودةُ سُئلتْ﴾[٥]، فأجاب الرجل معاذاً، ولكن أبا مسلم لم يفهم ما قيل، فخرج وهجاهم بأبياتٍ[٦]. وقد فهم بعضهم هذه الرواية أن واضع علم التصريف هو معاذ الهرّاء[٧]. والذي يظهر لي أن معاذاً المتوفّى سنة ١٨٧هـ كان معاصراً لسيبويه المتوفّى سنة ١٨٨هـ، وأن كتاب سيبويه ملآن بجملةٍ من المسائل التصريفية، وهذا وذاك يدلان على أنه علم سابق لهما.

والنفس بعد ذلك تميل إلى القول بأن معاذاً الهرّاء لم يكن واضع علم الصرف، وأن هذا العلم كان قائماً قبله كما ذكرنا، نقول هذا ونذهب إليه على الرغم من أن بعض الباحثين يجعلون معاذاً رائد علم الصرف، ويرون أنه استقل بكيانه على يدية، يقول أحد هؤلاء الباحثين عن معاذ وعن الصرف: «إنه أول من جعله علماً مستقلاً متميزاً»[٨].

على أن القول الذي تميل إليه النفس في هذه المسألة هو أن الصرف نشأ ممتزجاً بالنحو، وهما صنوان نبتا من أصل واحد، وأطلق عليهما ابتداءً اسم واحد، وجمعهما التأليف في كتابٍ واحدٍ ـ كما رأينا في كتاب سيبويه مثلاً ـ، وعليه فإن كل ما قيل عن بداية وضع علم النحو يمكن أن يقال أيضاً عن بداية وضع على الصرف.

استقلاله:

نشأ النحو والصرف معاً، وكان يطلق عليهما العربية والنحو واللغة ـ كما ذكرنا ـ وقد ظهر هذا جلياً في كتاب سيبويه، ومن ثم سلك من جاء من بعده مسلكه، إلى أن جاء المتأخرون فذكروا أنه «علم تعرف به أحوال الكلمة العربية إفراداً وتركيباً»[٩].

وحين نتبع التاريخ التأليفي لعلم الصرف ـ في محاولة لمعرفة الوقت الذي استقل فيه عن

(١) انظر بغية الوعاة ٢/ ٢٩١، السيوطي، الاقتراح ١٣٠، السيوطي، المزهر ٢/ ٤٠٠.
(٢) هو: مؤدب عبد الملك بن مروان، انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ١٢٥.
(٣) انظر طبقات النحويين ١٢٦، ١٢٧.
(٤) من الآية ٨٣، مريم.
(٥) الآية ٨ التكوير.
(٦) انظر السيوطي، البغية ٢/ ١٩٣.
(٧) انظر الوجيز في التعريف بالصرف ٢٠، اليسير في الصرف وتطبيقاته ١/ ٧.
(٨) السمان، اليسير في الصرف وتطبيقاته١/ ٨.
(٩) الخضري، حاشيته على شرح ابن عقيل ١/ ١٠.

wadod.org

النحو ـ، نجد أننا نصطدم بواقع يتمثل في ضياع المؤلفات التصريفية القديمة لكثير من أعيان الجيل الأول، من ذلك ـ مثلاً ـ كتاب في الصرف ينسب إلى الخليل بن أحمد، وآخر يعزى للأخفش، وثالث يقال أنه للفراء[١]، وهي جميعاً ـ وكذلك غيرها ـ لم تصلنا.

إن هذا يضطرنا إلى أن نحتكم إلى ما توافر بين أيدينا من المؤلفات، وإلى أن نستأنس في الوقت نفسه بكتب التراجم التي ـ غالباً ـ ما تشير إلى أسماء هذه الكتب دون التعرض إلى المضمون.

وبصرف النظر عما ذهب إليه بعض الباحثين، وأشرنا إليه قبل قليل من أن معاذاً الهرّاء هو أول من جعل الصرف عِلماً مستقلاً متميزاً، وأن هذا العلم استقل بكيانه على يديه، فإننا نرى أن أيلولة الصرف بعد نشأته مندمجاً بالنحو إلى الاستقلال والتفرُّد وهو استجابة طبيعية لسنة التطور العامة، لذلك أصبح الصرف في نهاية المطاف علماً خاصاً مستقلاً عن النحو يبحث في المفردات العربية التي ليست بإعراب ولا بناء، وصح قول أحد الباحثين «تميز علم الصرف عن علوم العربية عامة، وعن علم النحو بخاصة، وصار له مباحث لا يشركه فيها غيره، وعلماء يتفردون بدراسته، ومصنفات يستقل بها وتستقل به»[٢].

إن الباحثين يكادون يجمعون على أن أبا عثمان المازني المتوفّى سنة ٢٤٧هـ هو أول من فصل الصرف عن النحو فصلاً حقيقياً كاملاً، حين وضع كتابه الموسوم بـ (التصريف) ذكر هذا ـ مثلاً ـ صاحب (مفتاح السعادة)، فقال: «إن أول من دوّن علم الصرف أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب المازني، وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو»[٣].

ثم جاء ابن جني المتوفّى سنة ٣٩٢هـ، وهو يعدّ ـ فيما أرى ـ معلماً مضيئاً للدرس الصرفي المستقل في زمانه، وصاحب سبق بمصنفاته فيه، وبداية مشرقة لطور الاكتمال الذي بلغ أوجه في القرنين السادس والسابع الهجريين. في حين يبقى المازني ـ بلا شك ـ أول من فصل الصرف عن النحو، وصنف أول كتاب متكامل مستقل فيه، وأول من أفرد التصريف وميّزه وفصله عن النحو[٤]، مما يجعله زعيماً لمرحلة الاستقلال، ويجعل كتابه (المنصف) أول كتاب جمع موضوعات الصرف وصاغها صياغة علمية متقنة «فأصبح على يديه علماً مستقلاً بأبنيته وأقيسته وتمارينه الكثيرة التي ذلل بها شوارده، ويسّرها للباحثين من حوله»[٥].

إن القطع بريادة المازني وبداية مرحلة الاستقلال على يديه على ما نذهب إليه، لا بدَّ لنا

---

(١) انظر إنباه الرواة ٢/ ٤٢، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٣/ ٢٤٤، المدارس النحوية ٣٤، ابن عصفور والتصريف ٤٤.

(٢) محمد محيي الدين عبد الحميد، دروس في التصريف ٨.

(٣) كبرى زاده، مفتاح السعادة ١/ ١١٣.

(٤) انظر الوجيز في التعريف بالصرف ٢٣.

(٥) شوقي ضيف، المدارس النحوية ١٢١.

wadod.org

من أن ندعمه بالتتبع التاريخي، وإنعام النظر في المؤلفات التي سبقت المازني على وجه الخصوص. إن هذا ليس متاحاً تماماً نظراً لفقد أكثرها، وقلّة ما وصل منها وانحصار هذا الذي وصل في تناول بعض أبواب التصريف، وهذا كله يحملنا على القول برجحان ما نسبناه إلى المازني، ولكنه لا يرقى بهذا الترجيح إلى مرتبة الحقيقة الكاملة المطلقة.

وسيكون مفيداً في هذا الصدد استعراض المحاولات الجادة التي قام بها العلماء الذين سبقوا المازني والذين لحقوه، وذكر مؤلفاتهم التي عنيت بالصرف كعلم مستقل، وذلك إيضاحاً للحقيقة، ولا سيما أن المازني روى عن بعض من سبقوه كأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري[١]، ونقل عنه بعض من جاءوا بعده.

المؤلفات التصريفية المستقلة:

(أ) مؤلفات سبقت المازني:

سبقت أبا عثمان المازني - بلا شك - دراسات صرفية بحتة، ولكن أكثر هذه الدراسات ضاع كما ضاع كثير من آثار القدامى في مختلف العلوم، ومع هذا فقد أمكن الحكم بزعامة أبي عثمان لمرحلة الاستقلال من خلال ما وجد من الآثار وأمكن العثور عليه.

ومن متممات الأمانة العلمية - فيما نرى - أن نشير هنا إلى المحاولات العلمية في التأليف الصرفي التي قام بها من سبق المازني، معتمدين أكثر ما يكون الاعتماد على كتب التراجم، ومن هؤلاء:

١ - عبد الله بن إسحاق الحضرمي المتوفّى سنة ١١٧هـ، وله كتاب اسمه (الهمز)[٢].

٢ - الإمام أبو حنيفة، المتوفّى سنة ١٥٠هـ، وله كتاب اسمه (المقصود في الصرف)، وقد طبع مع شرح بعنوان (إزالة القيود عن ألفاظ المقصود في فن الصرف) لعبد الملك السعدي مع تقديم للدكتور أحمد القيسي. وقد ألفيته متناً حاوياً لأغلب أبواب التصريف التي حوتها الكتب اللاحقة، إلا أنه مختصر في عبارته وأمثلته، وقد شك بعض المترجمين في نسبته لأبي حنيفة[٣].

٣ - الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٠هـ، وله كتاب في الصرف اسمه (لِمَ استعمل اللغويون مثال فَعَلَ)[٤]، وقد شرحه بعض العلماء[٥].

٤ - أبو جعفر، محمد بن الحسن الرؤاسي المتوفّى سنة ١٨٧هـ، وله كتب في التصريف

---

(١) انظر معجم الأدباء ٧/ ١٠٨.

(٢) انظر مراتب النحويين ١٢، طبقات النحويين واللغويين ٣١، إنباه الرواة ٢/ ١٠٤.

(٣) انظر مفتاح السعادة ١/ ١١٩، كشف الظنون ٢/ ٥٠٨، ٥٠٩.

(٤) انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٢/ ١٣٢.

(٥) انظر المدارس النحوية ٣٤.

wadod.org

منها: التصغير، والوقف والابتداء الصغير، والوقف والابتداء الكبير[١].

٥ ـ أبو الحسن، علي بن حمزة الكسائي المتوفّى سنة ١٨٩هـ، وله كتاب اسمه: (المصادر)[٢].

٦ ـ أبو الحسن، علي بن المبارك الأحمر المتوفّى سنة ١٩٤هـ، وله كتاب اسمه: (التصريف)[٣].

٧ ـ يحيى بن المبارك اليزيدي المتوفّى سنة ٢٠٣هـ، وقد ألف كتاب: (المقصور والممدود)[٤].

٨ ـ النضر بن شميل المتوفّى سنة ٢٠٣هـ، وله كتاب: (المصادر)[٥].

٩ ـ محمد بن المستنير، الملقب بقطرب، المتوفّى سنة ٢٠٦هـ، وله كتب: (الاشتقاق في التصريف ـ والهمز ـ وفعل أفعل)[٦].

١٠ ـ يحيى بن زياد الديلمي الفرّاء المتوفّى سنة ٢٠٧هـ، وله عدد من المؤلفات، منها: (المصادر في القرآن الكريم، الوقف والابتداء، الجمع والتثنية في القرآن، فعل وأفعل، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، الإدغام)[٧]. وذكر البغدادي أن له كتاباً أسماه (التصريف)، نقل عنه أبو علي الفارسي[٨].

١١ ـ أبو عبيدة، معمر بن المثنى المتوفّى سنة ٢١٠هـ، وله كتاب: (المصادر، فعل وأفعل)[٩].

١٢ ـ أبو زيد الأنصادري المتوفّى سنة ٢١٥هـ، وله كتاب: (الصفات، والمصادر)[١٠]. وله كتاب اسمه (الهمز) نشره لويس شيخو في مجلة «المشرق».

١٣ ـ عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفّى سنة ٢١٦هـ، وله كتب: (الهمز، المقصور والممدود، فعل وأفعل، القلب والإبدال، الاشتقاق، المصادر، المذكر والمؤنث)[١١].

---

(١) انظر ابن النديم، الفهرست ١٠٢.
(٢) انظر الفهرست ٩٨، معجم الأدباء ١٣/ ٢٠٣، حسين نصار، المعجم العربي١/ ١٥٦.
(٣) انظر الحموي، معجم الأدباء ٢٣/ ١١، بغية الوعاة ٢/ ١٨٥.
(٤) انظر إنباه الرواة ٤/ ٣٣.
(٥) انظر المصدر السابق ٣/ ٣٥٢.
(٦) انظر المصدر السابق ٣/ ٢٢٠.
(٧) انظر المصدر السابق ٢/ ٢٢، معجم الأدباء ٢٠/ ١٤.
(٨) انظر البغدادي، خزانة الأدب ٢/ ٢٥٩.
(٩) انظر إنباه الرواة ٣/ ٢٨٦، كشف الظنون ٢/ ٢٥٧.
(١٠) انظر إنباه الرواة٢/ ٣٥.
(١١) انظر المصدر السابق ٢/ ٢٠٢، ٢٠٣.

wadod.org

١٤ ـ أبو الحسن، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفّى سنة ٢٢١هـ، وله كتاب اسمه (الاشتقاق) وكتاب (التصريف)[١].

١٥ ـ أبو عبيد، قاسم بن سلام المتوفّى سنة ٢٢٤هـ، وله كتب: (المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، فعل وأفعل)[٢].

١٦ ـ صالح بن إسحاق الجرمي المتوفّى سنة ٢٢٥هـ، وله كتاب: (الأبنية)[٣].

١٧ ـ عبد الله بن محمد التوزيُّ المتوفّى سنة ٢٣٠هـ، وله كتاب: (فعلت وأفعلت)[٤].

١٨ ـ أبو نصر، أحمد بن حاتم الباهلي المتوفّى سنة ٢٣١هـ، وله كتاب: (اشتقاق الأسماء)[٥].

١٩ ـ ابن السكّيت، يعقوب بن إسحاق المتوفّى سنة ٢٤٤هـ، وله عدّة كتب هي: (القلب والإبدال، فعل وأفعل، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود)[٦].

إن هذا الثبت يعني بوضوح أن هؤلاء العلماء المرموقين في تاريخ العربية قد صنّفوا قبل المازني في علم الصرف، وضياع كثير مما خلفوه وفقده من يد الزمن قد يشكك في الحكم ببداية التأليف المستقل على يد المازني، ويحمل بعضهم على القول بأن مردّ نسبة البداية له واشتهار ذلك، إنما كان بسبب الحظوة التي نالها كتابه في عصره وفي العصور التي تلته.

على أنني أميل إلى القول بأن التأليف في هذا العلم الذي بدأ مبكراً بمصنفات هؤلاء القدماء، لا يمنع من القول في الوقت نفسه بأن مرحلة الاستقلال التي بدأت بهؤلاء وبمؤلفاتهم قد بلغت طور الاكتمال على يد المازني باستيعابه أبواب الصرف ودراسته لأصوله وفروعه، ووضعه الضوابط لمسائله المتعددة، وإقامته الموازين المحررة، والحدود الجامعة المانعة فيه.

إن هذا يعني أن مرحلة الاستقلال الثابتة على يد المازني قد بدأت شرارتها الأولى منذ بداية القرن الثاني الهجري ـ كما هو واضح مما أوردناه ومن أسماء المصنفين في هذا العلم ومصنفاتهم ـ، وهذا عندي هو أمثل الحلول وأقربها إلى الصواب. وإننا لن نكون مبالغين ـ مع كل ما قلناه ـ إذا أسندنا جُلّ الفضل في الأسبقية للمازني، فقد قيل في إسناد ذلك له الكثير، وذهب إليه عدد من الباحثين المحدثين، منهم على سبيل المثال صاحب مفتاح السعادة في قوله «أعلم أن أول من دوّن علم الصرف أبو عثمان المازني، وكان قبل ذلك مندرجاً في علم

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٤٢.
(٢) انظر إنباه الرواة٣/ ٢٢، كشف الظنون ٢/ ١٤٦١.
(٣) انظر إنباه الرواة٢/ ٨٢، بغية الوعاة ٢/ ٨.
(٤) انظر إنباه الرواة ٢/ ١٢٦، بغية الوعاة ٢/ ٦١.
(٥) انظر كشف الظنون ١/ ١٠٢.
(٦) انظر إنباه الرواة ٤/ ٦١، بغية الوعاة ٢/ ٣٤٩.

wadod.org

النحو»[١]. وتابعهم على هذا عدد آخر من الباحثين المعاصرين[٢].

على كل حالٍ لقد أفاد المازني فيما قام به من البدايات التي لم تكن قد استحكمت بعد، وقد ساعده ذلك ـ بدون شك ـ على تصنيف كتابه الذي يعد ـ بحق ـ صورة مشرقة لطور استقلال الصرف الكامل عن النحو، ومن الإجحاف إنكار ذلك على النحو الذي فعله الدكتور فخر الدين قباوة حين جعل الأخفش زعيماً لمرحلة الاستقلال، ووسمه بأنه هو الذي خطا الخطوة النهائية في وضع كتاب خاص بالتصريف، يحدد فيه معالم هذا العلم وميادينه وموضوعاته ومسائله[٣].

وقد أحسن أحد الباحثين صنعاً حين حدد الإطار الذي تدور فيه أولية المازني بقوله: «أول من فصل الصرف عن النحو فصلاً حقيقياً كاملاً...»[٤]، بعد أن ذكر المحاولات التي سبقته.

ونحن نؤيد ما ذهب إليه هذا الباحث، ونرى أن الصرف الحقيقي الكامل عن النحو إنما كان على يد المازني، وهذه حقيقة ليس من السهل إنكارها ولا التشكيك فيها، وهي في الوقت نفسه لا تلغي ولا ينبغي أن تلغي فضل من سبقوا المازني من العلماء، ولا أن تطرح جهودهم في هذا الميدان.

(ب) مؤلفات جاءت بعد المازني:

إذا كان التأليف الصرفي قد بلغ النضج والاكتمال على يد أبي عثمان المازني، فإن حبل التأليف لم ينقطع بعده، إذ تعاقب العلماء منطلقين من مرحلة المازني يوسعون دائرة استقلال الصرف بمؤلفاتهم، وهي المؤلفات التي ظهرت مستوعبة لأبواب هذا العلم، ومهذبة لمسائله، وموضحة لقواعده وأحكامه، ومن أشهر هؤلاء العلماء وأبرز مؤلفاتهم:

١ ـ أبو حاتم، سهل بن محمد السجستاني المتوفّى سنة ٢٥٥هـ، وله كتاب: (المقصور والممدود)، وكتاب (المذكر والمؤنث)[٥]. وله كتاب (فعلت وأفعلت) وهو منشور في الكويت.

٢ ـ أبو العباس المبرد المتوفّى سنة ٢٨٥هـ، وله: (التصريف، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود)[٦].

---

(١) مفتاح السعادة ١/ ١١٣.

(٢) منهم: الدكتور محمود السمان في كتابه اليسير في التصريف وتطبيقاته ١/ ٩، عبد الحميد عنتر في مذكرات في تصريف الأفعال ٨، ١١.

(٣) انظر فخر الدين قباوة، ابن عصفور والتصريف ٤٨.

(٤) الوجيز في التعريف بالصرف ٢٣.

(٥) انظر إنباه الرواة ٢/ ٦٢، البغية ١/ ٦٠٦، كشف الظنون ٢/ ١٤٥٧.

(٦) انظر إنباه الرواة ٣/ ٢٤٩، ٢٥٠.

wadod.org

٣ ـ ثعلب المتوفّى سنة ٢٩١هـ، وله كتابان: (التصغير، والوقف والابتداء)[١].

٤ ـ أبو الحسن، محمد بن أحمد بن كيسان المتوفّى سنة ٢٩٩هـ، وله كتاب بعنوان: (التصريف أو التصاريف)، وكتاب (المقصور والممدود)[٢].

٥ ـ أبو إسحاق الزجاج المتوفّى سنة ٣١٠هـ، وله: (الاشتقاق، وفعلت وأفعلت)[٣].

٦ ـ أبو بكر، محمد بن السري بن السراج المتوفّى سنة ٣١٦هـ، وله كتاب: (الاشتقاق).

٧ ـ أبو بكر أحمد بن الحسن بن العباس بن شقير المتوفّى سنة ٣١٧هـ، وله كتابان هما: (المقصور والممدود، المذكر والمؤنث)[٤].

٨ ـ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفّى سنة ٣٢١هـ، وله: (الاشتقاق، المقصور والممدود)[٥].

٩ ـ عبد الله بن محمد الجزار المتوفّى سنة ٣٢٥هـ، وله كتاب في: (المقصود والممدود)[٦].

١٠ ـ أحمد بن محمد بن ولاد المتوفّى سنة ٣٣٢، وله كتاب: (المقصور والممدود)[٧].

١١ ـ أبو محمد، عبد الله جعفر بن دستوريه المتوفّى سنة ٣٤٧هـ، وله: (المقصور والممدود، والتصريف)[٨].

١٢ ـ أبو علي، إسماعيل بن القاسم القالي المتوفّى سنة ٣٥٦هـ، وله مؤلف في: (المقصور والممدود)، وآخر بعنوان: (فعلت وأفعلت)[٩].

١٣ ـ أبو سعيد، الحسن بن عبد الله السيرافي المتوفّى سنة ٣٦٨هـ، وله كتاب: (ألفات الوصل والقطع)[١٠].

١٤ ـ الحسين بن أحمد بن خالوية المتوفّى سنة ٣٧٠هـ، وله: (الاشتقاق، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث)[١١].

---

(١) انظر المصدر السابق ١/ ١٨٥، ١٨٦.
(٢) انظر المصدر السابق ٣/ ٥٨ ـ ٥٩.
(٣) انظر المصدر السابق ١/ ٢٠٠.
(٤) انظر معجم الأدباء ٣/ ١١، البغية ١/ ٣٠٢، كشف الظنون ٢/ ١٤٦٢.
(٥) انظر إنباه الرواة ٣/ ٩٦، كشف الظنون ١/ ١٤٦٢.
(٦) انظر كشف الظنون ٢/ ١٤٦١.
(٧) انظر إنباه الرواة ١/ ١٣٤، معجم الأدباء ٤/ ٢٠٢.
(٨) انظر إنباه الرواة٢/ ١١٣، كشف الظنون ٢/ ١٤٦١.
(٩) انظر إنباه الرواة١ / ٢٤١، كشف الظنون ٢/ ١٤٦٢.
(١٠) انظر إنباه الرواة ١/ ٣٤٩، البغية ١/ ٥٠٧.
(١١) انظر إنباه الرواة ١/ ٣٦٠، البغية ١/ ٥٢٩.

wadod.org

١٥ ـ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المتوفّى سنة ٣٧٧هـ، وله: (المقصور والممدود، والتكملة في الصرف)[١].

١٦ ـ أبو بكر، محمد بن الحسن الزبيدي المتوفّى سنة ٣٧٩هـ، وله كتاب: (الأبنية)، وقد تحدث فيه عن أبنية الأسماء[٢].

١٧ ـ أبو الفتح، عثمان بن جني المتوفّى سنة ٦٩٣هـ، وله كتاب (المنصف)، وهو شرح مستفيض لتصريف المازني، أكدّ فيه نفاسته، وجعلها من أسباب الإقبال عليه قراءةً وشرحاً وتصنيفاً، وهو مطبوع متداول. وله كتاب آخر مطبوع أيضاً اسمه: (التصريف الملوكي).

١٨ ـ عبد القاهر الجرجاني المتوفّى سنة ٤٧١هـ، وله كتاب اسمه: (العمدة في التصريف)[٣].

١٩ ـ ابن القطاع، جعفر بن عليّ الصقلي المتوفّى سنة ٥١٥هـ، وله كتاب: (أبنية الأفعال)[٤].

٢٠ ـ أحمد بن محمد الميداني المتوفّى سنة ٥١٨هـ، وله كتاب: (نزهة الطرف في علم الصرف)[٥].

٢١ ـ الحسن بن صافي، المشهور بملك النحّاة المتوفّى سنة ٥٣٨هـ، وله كتاب: (المقتصد في التصريف)[٦].

٢٢ ـ أبو السعادات، هبة الله بن علي بن الشجري المتوفّى سنة ٥٤٢هـ، وله: (شرح على التصريف الملوكي لابن جني)[٧].

٢٣ ـ أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفّى سنة ٥٧٧هـ، وله: (الوجيز في علم التصريف)[٨].

٢٤ ـ أبو البقاء العكبري المتوفّى سنة ٦١٦هـ، وله كتابان هما: (نزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف، والترصيف في علم التصريف)[٩].

٢٥ ـ قاسم بن قاسم الواسطي المتوفّى سنة ٦٢٦هـ، وله: (شرح على التصريف

---

(١) انظر إنباه الرواة ١/ ٣٠٩، البغية ١/ ٤٩٦.
(٢) انظر إنباه الرواة ٣/ ١٠٨، البغية ١/ ٨٤.
(٣) انظر كشف الظنون ٢/ ١١٦٩.
(٤) انظر المصدر السابق ١/ ٤.
(٥) انظر إنباه الرواة ١/ ١٥٩.
(٦) انظر المصدر السابق ١/ ٣٤٣.
(٧) انظر البغية ١/ ٤٠٧، ٤٠٨.
(٨) الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور علي البواب.
(٩) انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٩، البغية ٢/ ٣٨.

wadod.org

الملوكي لابن جني)[١].

٢٦ ـ أبو البقاء، موفق الدين يعيش بن علي يعيش المتوفّى سنة ٦٤٣هـ، وله: (شرح التصريف الملوكي لابن جني)[٢].

٢٧ ـ أبو عمر، جمال الدين عثمان بن الحاجب المتوفّى سنة ٦٤٦هـ، وله كتاب يُعدُّ من أهم كتب الصرف، وهو كتاب (الشافية) الذي يوسم بأنه جامع لكل أبواب الصرف، وقد طبع كثيراً وهو متداول بين الباحثين، وفي دور التعليم.

٢٨ ـ الحسن بن محمد الصاغاني المتوفّى سنة ٦٥٠هـ، وله رسالتان: (فُعال على وزن حذام، وفَعلان على وزن شتان)، وكتاب (الافتعال)، وكتاب (مفعول)[٣].

٢٩ ـ أبو المعالي، عز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني المتوفّى سنة ٦٥٥هـ، وهو المشهور بالعزي، وله كتاب مشهور في الصرف اسمه (تصريف العزي)[٤]، وهو كتاب مختصر شرحه كثيرون، منهم السيد الشريف الجرجاني المتوفّى سنة ٨١٦هـ، والسعد التفتازاني المتوفّى سنة ٧٩١هـ[٥].

٣٠ ـ أبو الحسن، علي بن أبي الحسين بن عصفور المتوفّى سنة ٦٦٩هـ، له كتاب: (الممتع في التصريف)، وقد لخّصه أبو حيان الأندلسي المتوفّى سنة ٧٤٥هـ، في كتاب أسماه: (المبدِع في الممتع)[٦].

٣١ ـ جمال الدين محمد بن مالك المتوفّى سنة ٦٧٢هـ، وله منظومة في علم الصرف اسمها (لامية الأفعال) وعدد أبياتها مائة وأربعة عشر بيتاً، وقد شرحها ابنه بدر الدين المتوفّى سنة ٦٨٦هـ، ولابن مالك مؤلفات أخرى منها: (إيجاز التعريف في فن التصريف، وتحفة المودود في المقصور والممدود)[٧].

٣٢ ـ الرضي الاستراباذي المتوفّى سنة ٦٨٨هـ، وهو شارح الشافية لابن الحاجب، ويعدّ شرحه أشهر شرح عليها، وأكثر شروحها تفصيلاً ودقة وتداولاً.

٣٣ ـ أحمد بن الحسين الجاربردي المتوفّى سنة ٧٤٦هـ، وله شرح الشافية، ويعدّ بعد شرح الرضي في التوسع والبسط، ولابن جماعة المتوفّى سنة ٨١٦هـ حاشية على هذا

---

(١) انظر كشف الظنون ١/ ٤١٢.
(٢) انظر البغية ٢/ ٣٥١، كشف الظنون ١/ ٤١٢.
(٣) انظر أبو الوفاء، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ٢/ ٨٤.
(٤) انظر كشف الظنون ٢/ ١١٣٨، ١١٣٩.
(٥) انظر المصدر السابق ٢/ ١١٣٩.
(٦) انظر ابن عصفور، الممتع ١٠، ١١ (المقدمة).
(٧) انظر البغدادي، إيضاح المكنون ٢/ ٣٩٧.

wadod.org

الشرح[١].

٣٤ ـ ابن هشام الأنصاري المتوفّى سنة ٧٦١هـ، له كتاب بعنوان: (كفاية التعريف في فن التصريف)، وله شرح على شافية ابن الحاجب اسمه: (عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب)[٢].

٣٥ ـ عبد الله بن محمد الحسيني، المعروف بنقرة كار المتوفّى سنة ٧٧٦هـ، وهو من أشهر شراح الشافية، وقد مال فيها إلى الاختصار[٣].

٣٦ ـ العصام الاسفراييني المتوفّى سنة ٩٤٥هـ، وله شرح على شافية ابن الحاجب[٤].

ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك، ولكن أكثرها كان شرحاً لكتاب سابق أو اختصاراً له وكان بعضها حواشي على تلك الشروح، واستمر الأمر على هذا المنوال إلى العصر الحديث، فألفت حينئذٍ كتب متعددة كان غرضها ـ في الغالب ـ تعليمياً، لذلك اعتمدت اعتماداً كلياً على ما سبقها من مصنفات، دون أن تضيف إلى ما نقلته شيئاً.

تقول إحدى الباحثات: «لم تتقدم دراسة الصرف بعد ابن الحاجب وابن مالك كثيراً، ومعظم ما كتبوه فيه كان عيالاً عليهما في مادة الصرف وفي طريقة بحثه، مع الاستفادة مما ذكر سيبويه ومن جاء بعده كالمازني، وابن جني، والزمخشري وغيرهم»[٥].

لماذا يُصرُّ المتأخرون على جعل التصريف ذيلاً للنحو؟!!:

يثير الكم الكبير من المؤلفات المستقلة التي تتابعت منذ بداية القرن الثاني الهجري حتى هذا العصر تساؤلاً كبيراً هو: لماذا أصر المتأخرون وما زالوا يصرون في كتبهم وأبحاثهم على جعل الصرف ذيلاً للنحو وتابعاً له؟، أليس الصرف بعد كل ما ذكرناه من العلماء والمصنفات جديراً باستقلاله؟. وإذا كانت محاولات الاستقلال بالصرف ـ بحثاً وتصنيفاً ـ قد بدأت مبكرة، فلمَ الإصرار حينذاك أيضاً على تبعيته للنحو؟.

ربما كمنت الإجابة على كل هذا فيما رافق المحاولات القوية للاستقلال بهذا العلم ـ التي بدأت مبكرة ـ من محاولات مضادة قوية أيضاً قصدت إلى إبقائه مبثوثاً في ثنايا التأليف النحوي، مختلطاً بأبوابه ابتداء، ثم ملحقاً به فيما بعد، وذلك على الرغم مما قام به أبو عثمان المازني، وكذلك من سبقوه من محاولات الاستقلال بعلم الصرف، وجعله قسيماً ـ في مباحثه وأبوابه ـ لأبحاث النحو وأبوابه. وهؤلاء العلماء ـ وفي مقدمتهم المازني ـ لم يحققوا غرضهم على الوجه الأكمل، ولم يصلوا إلى غايتهم تماماً، إذ ظل الصرف مندرجاً في كل

---

(١) انظر كشف الظنون ٢/ ١٠٢١.
(٢) انظر إيضاح المكنون ٢/ ٣٧٢.
(٣) انظر كشف الظنون ٢/ ١٠٢١.
(٤) انظر المصدر السابق ٢/ ١٠٢٢.
(٥) خديجة الحديثي، أبنية الصرف ٣٩.

wadod.org

المؤلفات بعدهم في علم النحو، بل لقد أمعن بعض المصنفين التالين فوضعوه في ذيل مؤلفاتهم النحوية، وجعلوه مكملاً لها، يليها ولا يتقدمها، ولا يوازيها من حيث الأهمية، وبهذا لم تحقق المؤلفات المستقلة التي ذكرنا أطرافاً منها من قبل، والتي قصدت أكثر ما قصدت إلى رفع شأن الصرف ـ ما رمت إليه.

إننا نزعم أن النظر العقلي والمنطقي المجرد يحملنا على أن نرجح تقديم الصرف على النحو، وهو ما لم يحدث حتى الآن، ذلك أن الصرف يتناول بالبحث ما قبل آخر الكلمة المفردة، في حين يتناولها النحو من خلال التركيب. يقول ابن جني عن الصرف والنحو: «إن الأول يهدف لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة»[١]. كما أن الحركة الأعرابية تتغير، والحكم النحوي يختلف باختلاف العامل، بينما البنية الأساسية التصريفية لكلمة تظل كما هي.

ومما يزيد الأمر وضوحاً ما قاله العلماء عن الصلات الوثيقة بين هذين العلمين، وما ذكروه من وجوه الاتصال والانفصال بينهما، ويبدو هذا بجلاء أيضاً من النظر في (كتاب سيبويه) أكبر المؤلفات النحوية وأهمها على الإطلاق، وفيه نجد أن النحو والصرف علم واحد، فقد خلط سيبويه المباحث التصريفية بالمسائل النحوية، ولم يُسمِّ الأولى صرفاً، مما يعني أن نشأة الصرف عنده هي نفسها نشأة النحو.

وسيبويه نفسه هو الذي أطلق كلمة التصريف على باب من أبواب كتابه، فقال: «هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات الأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلمهم إلا نظيره من غير باب، وهو الذي يسميه النحويون التصريف»[٢].

وقد فسر السيرافي كلمة (التصريف) التي جاءت في كتاب سيويه بقوله: «أما التصريف فهو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب حتى تصير على مثال كلمة أخرى...»[٣].

ويسير في هذا الاتجاه ويؤيده ما هو معروف من أن الصرف والنحو كانا وما زالا مندمجين، وأنه قد أطلق عليهما ابتداء اسم (العربية) أو (النحو) أو (اللغة)، مما يعني أنهما شطران لعلم واحد. يقول أحد الباحثين: «بيد أن الكتب التي أرخت لهذه العلوم ولكبار أعلامها، لم تبدِ تمييزاً واضحاً بين النحو والتصريف ـ كما يجب ـ، وقد لبث اندراج التصريف في النحو قائماً من أيامه الأولى إلى القرون المتأخرة في بعض تلك الكتب، ذلك أن المتقدمين كانوا يعرِّفون النحو بأنه: علم يبحث عن أحوال الكلم العربي إفراداً وتركيباً،

---

(١) المنصف ١/ ٤.

(٢) الكتاب ٢/ ٣١٥.

(٣) السيرافي، شرح الكتاب ٥/ ٥٨٦. وانظر: المنصف ٣/ ٢٧٤.

wadod.org

فيجعلون الصرف جزءاً من أجزاء النحو، لا علماً قائماً برأسه»[١].

إن عدم التفريق بين العلمين لا نراه فقط في كتب المتأخرين، بل نراه أيضاً بوضوح في أقوال القدماء، فالفراء مثلاً يقول: «إنما تعلم الكسائي النحو على الكبر، وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيا فجلس، فجلس إلى الهبّاريين، وكان يجالسهم كثيراً، فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن، فقال: كيف لحنت؟، قالوا له: إن كنت أردت من التعب فقل: أعييت، وإن كنت تريد من انقطاع الحيلة فقل: عييت، فأنت من هذه الكلمة لحنت. ثم قام من فوره ذلك يسأل عمَّن يعلِّم النحو، فأرشده إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده»[٢].

إن كلام الفراء يدل على أنه قد سمّى الخطأ الصرفي نحوياً، ورسمه بهذه السمة دون تردد أو تحرج، ولم يكن هذا ديدن المتقدمين وحدهم، وإنما بقي الصرف (نحواً) في استعمالات المتأخرين أيضاً. يقول الدكتور قباوة: «اطرد اندراج التصريف في النحو في القرون التالية، على الرغم من انفصال كل منهما عن الآخر في التصنيف والبحث، ولهذا ترى المازني وابن جني وأمثالهما ممن غلب عليهم علم التصريف يوصفون في كتب اللغة والتاريخ والتراجم بأنهم من النحاة»[٣].

إن ما نقلناه عن القدماء والمحدثين لم يمنع بعض القدامى من تحديد مدلول النحو أحياناً، مما يعد إرهاصاً جيداً بما بين العلمين من تمايز، فقد جعلوا الصرف في بعض كلامهم قسيم الإعراب في النحو. يقول ابن جني مثلاً: النحو إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتصغير والتكسير، والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، فإن شذّ عنها رُدَّ به إليها»[٤].

ولكن بعض قدامى المحدثين بقوا على موقفهم التقليدي، فهذا الرضي الاستراباذي مثلاً يُصرِّح بأن الصرف جزء من النحو ويقول «واعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصنعة»[٥].

وفعل مثله بعض المعاصرين كالدكتور تمام حسان الذي تحدث عن ظاهرة الاتصال الوثيقة بين النحو والصرف بقوله: «إن النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من المباني، وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون ـ في أغلب الأحيان ـ أنه من

---

(١) ابن عصفور والتصريف ٤٨.
(٢) إنباه الرواة ٢/ ١٥٧ـ٢٥٨.
(٣) ابن عصفور والتصريف ٣٥.
(٤) ابن جني، الخصائص ١/ ٣٤.
(٥) الرضي الاستراباذي، شرح الشافية ١/ ٧، ٨.

wadod.org

الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو، فيعالجون كلاً منهما علاجاً منفصلاً. ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك، يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو، وما للصرف للصرف»[١].

إن هذه النقول عن القدماء والمحدثين التي تظهر أن النحو والصرف علم واحد أو أنهما كالعلم الواحد، لم تسلم مما يناقضها، فهناك وجهة نظر أخرى ترى أن الصرف غير النحو، وترى أن لكل واحد منهما قواعده ومسائله وأحكامه وأقسامه. قال ابن الأثير: «وتظهر لك فائدة ذلك إذا قيل للنحوي الجاهل بعلم التصريف: كيف اصغر لفظة (اضطرب)، فإنه يقول: ضطيرب، ولا يلام في ذلك، لأنه الذي تقتضيه صناعة النحو؛ لأن النحاة يقولون: إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن، حذفته منها، نحو قولهم في (منطلق) (مطيلق) وفي (جحرس) (جحير)... إلى أن قال: فإذا بنى النحوي على هذا الأصل، فإما أن يحذف من لفظة (اضطرب) الألف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء، وهذه الحروف ـ غير الألف ـ ليست من حروف الزيادة فلا تحذف... ثم لم يعلم النحوي أن الطاء في (اضطرب) مبدلة من (تاء)، وأنه إذا أريد تصغيرها ـ تعاد إلى الأصل الذي كانت عليه، فيقال: ضتيرب، فإن هذا مما لا يعلمه إلا التصريفي»[٢].

وقد نحا ابن عصفور هذا النحو في قوله: «التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما. والذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة من نحويين ولغويين إليه أيما حاجة...»[٣].

وفي قوليهما هذين دلالة على أن الصرف غير النحو، وأنه قسيمه لا قسم منه، وسواء كان الأمر على هذا النحو أو على نقيضه، فإن كلا الرأيين لم يقدما سبباً مقنعاً يسوِّغ جعل المباحثة الصرفية بعد مباحث النحو في التعليم والتأليف عند المتقدين وعند المتأخرين على حد سواء، أو يسوِّغ جعلها نحواً كالنحو الخالص كما فعل الكثير من المتقدمين، فها كان يعتذر على أهل الرأي الأول جعل المسائل التصريفية مبثوثة في أبواب النحو معروضة في ثنايا المؤلف النحوي مندرجة تحت مسائله، كما فعل سيبويه؟، وهل استعصى على السائرين على الرأي الثاني جعل التصريف مستقلاً غير تابع للنحو في التأليف وغيره؟.

الأسباب التي جعلت الصرف ذيلاً للنحو عند القائلين بذلك:

لكي أزيد الصورة في هذا الموضوع وضوحاً، أي من المفيد أن أتوسع في تفصيل الأسباب التي جعلت الصرف ذيلاً للنحو عند من ذهبوا إلى ذلك، حتى كاد النحو أن يطمسه ويخمل ذكر علمائه المتخصصين فيه. يقول أحد الباحثين: «وعلى الرغم من انفصال كلّ

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٨.
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/٢٠٧.
(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف ١/٢٧.

wadod.org

منهما عن الآخر في التصنيف والبحث، نرى أن المازني وابن جني وأمثالهما ممن غلب عليهم علم التصريف يوصفون في كتب اللغة والتاريخ والتراجم بأنهم من النحاة»[١].

إن هذا القول ـ وكذلك كثير من الأقوال التي نحت نحوه ـ يكفي لتفسير سر طغيان النحو على الصرف في كثير من كتب القدماء والمحدثين، ويُظهر على وجه مناسب الأسباب التي جعلت الصرف تابعاً للنحو، متأخراً عنه في التأليف والتعليم، ومع هذا وذاك فإن الأمر ـ كما ألمحنا ـ ما زال متسعاً لمزيد من الحديث فيه، حديث يستضي بآثار السابقين ويقلّب أقوالهم متأملاً فيها.

لقد ظهر لي من خلال كل ذلك ما يأتي:

١ ـ إن علم الصرف كان غامضاً وأن بعض العلماء قد تهيبوا منه لذلك، ولم يجرؤ عليه ـ لهذا السبب ـ إلا قلة اقتصروا على القليل من أبوابه، وذيلوا بها النحو. وهذا ما صرح به ابن عصفور النحوي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٦٩هـ في مقدمة كتابه (الممتع)، حيث قال «فإني لما رأيت النحويين قد هابوا ـ لغموضه ـ على التصريف، فتركوا التأليف فيه والتصنيف إلا القليل منهم، فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يبرد غليلاً، ولا يحصّل لطالبه مأمولاً، لاختلال ترتيبه وتداخل تبويبه ـ وضعت في ذلك كتاباً رفعت فيه عن علم التصريف شرائعه وملكته عاصية وطائعة...»[٢].

وربما من أجل هذا لم يقدم ابن عصفور في (الممتع) أكثر مما فعل سابقوه، اللهم إلا ما كان له من فضل الترتيب والتبويب في كتابه الذي قال أبو حيان عنه: «أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيباً، وألخصه تهذيباً، وأجمعه تقسيماً، وأقربه تفهيماً»[٣].

٢ ـ إن النحو قدم على التصريف ليكون النحو ـ من قبل ـ ميداناً للتدريب والارتياض، قال ابن جني: «فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المنتقلة. ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيت بكراً، ومررت ببكرٍ، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب، لاختلاف العامل، ولن تعرض لباقي الكلمة. وإذا كان ذلك كذلك، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً لمعرفة حاله المنتقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً، بدى قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعده، ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال»[٤].

وقد وافق ابن جني فيما ذهب إليه المازني الذي دعا قبله إلى ضرورة تقديم النحو على

---

(١) فخر الدين قباوة، ابن عصفور والتصريف ٥٣.
(٢) ابن عصفور، الممتع ١/ ٢٢.
(٣) انتظر مقدمة محقق الممتع في التصريف ١/ ١٨.
(٤) المنصف ١/ ٤، ٥.

wadod.org

الصرف لما للصرف من الأهمية، ولما فيه من الوعورة، فقال: «والتصريف إنما ينبغي أن ينظر فيه من قد نقب في العربية، فإن فيه إشكالاً وصعوبة على من ركبه غير ناظر في غيره من النحو»(١).

أما ابن عصفور فقد سلك سبيلاً آخر في التعليل، فذهب إلى أن الصرف كان ينبغي له أن يقدم، إلا أنه أخر للطفه ودقته(٢).

٣ ـ إن التصريف أدرج في ذيل النحو لأن الحاجة إليه غير ماسّة على ما نقله ابن عصفور عن ابن جني في قوله «ومنها ـ أي اللغة ـ ما لا يؤخذ إلا بالسماع، ولا يلتفت فيه إلى القياس وهو الباب الأكثر نحو قولهم: رجل وحجر، فهذا مما لا يقدم عليه بقياس، بل يرجع فيه إلى السماع، فلهذه المعاني ونحوها ما كانت الحاجة بأهل العربية ماسّة، وقليلاً ما يعرفه أهل اللغة، لاشتغالهم بالسماع على القياس»(٣).

٤ ـ إن التصريف ـ على الرغم ـ من وجود الباحثين الحراص على العناية به والمتابعين لمسائله ـ ظل تابعاً للنحو، ذيلاً له في التعليم والتصنيف لأن حجم أبوابه وفصوله أقل من حجم أبواب النحو وفصوله، ومما جعل النحو طاغياً على التصريف، وأبقاه ـ وحده ـ الميدان الفسيح للبحث والدراسة قديماً وحديثاً، اللهم إلا ما كان من المحاولات التي ظهرت على استحياء بين الفينة والأخرى في صورة مؤلفات مستقلة درست مسائل الصرف أو طرفاً من هذه المسائل، ويمكن القول بأن قلّة الخلاف في مسائل الصرف ـ قياساً على ما كان منه في مسائل النحو ـ لها الأثر الواضح في الاهتمام الكبير بالنحو الواسع وشؤونه، والانصراف عن الصرف الضيق وشجونه.

٥ ـ إن تجاذب الدراسات اللغوية والدراسات النحوية للصرف، جعل النحاة ينصرفون إليه بعد فراغهم من العلم الأصلي الذي يهتمون به وهو النحو، لذلك لم يتركوه يستقل بعيداً عنهم، ولم يسمحوا له بالتبعية للدراسات اللغوية بدعوى قربه من بعض مباحثها، كما يوحى بهذا حديث ابن جني عن ما بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة من صلات وثيقة من خلال قوله «وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسباً قريباً واتصالاً شديداً، لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى... فمن هنا تقاربا واشتبكا، إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، بدلّك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتاباً في المحو إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ

(١) المنصف ٣/ ٣٤٠.
(٢) انظر الممتع في التصريف ١/ ٣١.
(٣) انظر المصدر السابق ١/ ٣١.

wadod.org

مشردة لا يكاد يعقد لها باب»[١].

وكما يدل عليه أيضاً بوضوح قول باحث معاصر ألحق الصرف بالأصوات «والصرف أشدّ التصاقاً من النحو بالأصوات ونظرياتها ونظمها، وعجيب أن نجد بعد ذلك من يتصدى لتدريس الصرف العربي، دون اعتماد على أفكار علم الأصوات اللغوية»[٢].

وقول هذا الباحث كذلك في موضع آخر «فليس من الممكن دراسة بنية الكلمة دون دراسة أصواتها ومقاطعها، وعلاقة الصوامت (السواكن) بالحركات، لأن كل تغيير تتعرض له هذه البنية، ينشأ عن تفاعل عناصرها الصوتية في الممارسة الكلامية... ولذلك نبدأ بدراسة الكلمة في عناصرها الأولية»[٣].

٦ ـ اعتمد الصرف في أكثر أبوابه وأمثلته على القياس، أما النحو فقد اعتمد ـ غالباً ـ على السماع، فالسماع فيه مقدم على القياس؟ يقول نقرة كار «من أراد أن يكون له منحة من الكتاب الإلهي، فليصرف عنان همته إلى نحو على التصريف، ولكن لا يعرج عليه، وهو غير عالم بهذا العلم ـ يعني الصرف ـ، فقد ركب عمياء، وخبط خبط عشواء، إذ به تنحل العويصات الأبيّة، وتعرف سعة اللغات العربية، إذ القياسية منها أكثر من السماعية، ومنه أخذت الأولى، وبه يتصرف في الأخرى»[٤].

هذه هي الظواهر التي بدا لي أن اجتماعها هو الذي دفع بالتصريف إلى وضعه الثانوي المعروف، والمسألة ـ على كل حال ـ تظل قابلة لمزيد من التقصي والتحري والبحث والاجتهاد، وأحسب أن الوصول إلى نتيجة قطعية فيها أمر لم يتمّ بعد، ولم يحسم حتى الآن القول فيما دفع سيبويه إلى جعل التصريف مبثوثاً في أثناء كتابه، ولا فيما حمل الزجاجي على أن يفعل مثله في جمله، ولا فيما جعل الزمخشري ينحو نحوهما في مفصّله، ولا فيما دعا ابن مالك وابن معطٍ في ألفيتهما ـ وكذلك من جاء بعدهما في مصنفاتهم ـ إلى أن يجعلوا الصرف ذيلاً للنحو، وتابعاً له غير مستقل عنه.

يبقى وراء هذا كله حقيقة واحدة ظاهرة لا شبهة فيها ولا لبس، وهي أن العِلمَيْن متداخلان في كثير من الأبواب والفصول والمسائل، وأن موضوعاتهما متشابكة، وأن قواعد أحدهما لا تكاد تستقل بنفسها دون أن يكون للعلم الآخر صلة بها.

يبدو هذا ظاهراً لكل من يتتبع مسائل النحو والصرف وقضاياهما، إذ يجد أكثرها غير مستقل بذاته، بل هو وثيق الصلة بغيره في العلم المقابل، حتى ليمكن القول باطمئنان بان العلمين متلازمان، لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، ولا مجال لإتقان هذا بدون إتقان

---

(١) المصنف ١/ ٣، ٤.
(٢) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية ٩.
(٣) المصدر السابق ٢٥.
(٤) شرح الشافية ٢/ ٣.

wadod.org

ذاك.

أمثلة على التأثير المتبادل بين مسائل النحو ومسائل الصرف:

فيما يأتي بعض النماذج التي تكشف بوضوح عن التأثير المتبادل العميق، والتشابك الدقيق بين مسائل النحو ومسائل الصرف في كثير من الأحيان:

١ ـ إعراب المضارع مع نون التوكيد غير المباشرة: يحكم النحاة على الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد بالإعراب، ولكنه إعراب تقديري، ففي نحو: ﴿لتبلونَّ﴾[١] المسند لواو الجماعة و(فإما ترينَّ)[٢] المسند لياء المخاطبة، و(لا تتبعان)[٣] المسند لألف الاثنين، لا يتبين الحكم النحوي إلا بعد إدراك كامل للخطوات التصريفية التي مرت بها الكلمة. ففي الآية الأولى الأصل قبل التوكيد (لتبلوون) كـ (تنصرون)، تحركت الواو وفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان الألف والواو، فحذف الساكن الأول فصار (لتبلون) بوزن (تفعون)، ثم أكد بالثقيلة فصار (لتبلونّ) بثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لتوالي النونات، فالتقى ساكنان واو الجمع ونون التوكيد المدغمة، ولا يمكن حذف إحداهما، فحركت الواو بحركة تجانسها وهي الضمة، ولم تحرّك النون محافظة على الأصل، ولعروض الضمة لم تقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وحيث حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فهي مقدرة الثبوت لأنها علامة الرفع[٤].

فصارت (تَرَيِيْنَ)، تحركت الياء وفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان فحذف الأول فصارت (تَرَيْنَ) ثم دخل الجازم فحذفت نون الرفع فصارت (تَرَيْ)، ثم أكد بالنون فالتقى ساكنان ياء المخاطبة ونون التوكيد، ولا يمكن حذف أحدهما، فحركت الياء بحركة مجانسة، ثم جرى فيها ما جرى في (لتبلونّ)[٥].

أما الآية الثالثة فالأصل قبل التوكيد (تتبعان) بتخفيف النون، فدخل الناهي فحذفت نون الرفع، فصارت لا تتبعا، ثم أكد بالنون الثقيلة، فالتقى ساكنان الآلف والنون، ولا يمكن حذف الألف كيلا يلتبس بالواحد، ولا تحريكها لأنها لا تقبل الحركة، ولا تحذف النون حتى لا يفوت الغرض، فحركت النون بالكسرة تشبيهاً لها بنون التثنية[٦]. وهذه كلها خطوات تصريفية لمعرفة الموقع الإعرابي لكلمة وتحديده.

٢ ـ التعدي واللزوم: هذا الباب يتحدث عنه علماء النحو لأنه متصل اتصالاً مباشراً

---

(١) من الآية ١٨٦ آل عمران.
(٢) من الآية ٢٦ مريم.
(٣) من الآية ٦٩ يونس.
(٤) انظر خالد الأزهري، التصريح على التوضيح ١/ ٥٦.
(٥) انظر التصريح على التوضيح ١/ ٥٧.
(٦) انظر المصدر السابق ١/ ٥٧.

wadod.org

بوظيفة الفعل النحوية في التركيب، ولكن إذا ألقينا نظرة على الوسائل التي يتحول بها الفعل اللازم إلى متعدٍ، نجد أنها وسائل أشدُّ ما تكون تعلقاً بالمباحث الصرفية، وذلك كزيادة الهمزة في نحو (كَرُم) لتصبح (أكرم)، والتضعيف في نحو (قدِم) لتكون (قدّم)، وتحويل (جلس) إلى صيغة المفاعلة، فيقال (جَالَسَ)، وتغيير خرج إلى (استخراج). ولا يخفى أن هذا كله يعتمد على الصيغة التي تجعل الفعل متعدياً أو تجعله لازماً، وتغيير الصيغ بالزيادات والتصريفات مباحث صرفية، أما الوظيفة التركيبية في مجيء ما بعد هذه الصيغ مرفوعاً أو منصوباً، فاعلاً أو مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً أو لأجله أو معه، فإنها كلها مباحث نحوية.

٣ ـ الفعل المبني للمجهول: إن الناظر في كيفية الفعل المبني للمجهول، يجد أنها عمل صرفي فيقال يُضم أول فعل المفعول مطلقاً، ويشركه ثاني الماضي المبدوء بتاء زائدة، وثالث المبدوء بهمزة الوصل كـ(انطلق) و (استخرج) و(استحلى)، ويكسر ما قبل الآخر من الماضي، ويفتح من المضارع... الخ[١]. فتغير الفعل عند بنائه للمجهول مبحث صرفي بحت، ولكن معرفة ما يصبح أن ينوب عن الفاعل حين حذفه ولا سيما فيما ينصب مفعولين مباحث نحوية.

٤ ـ مسوّغات الابتداء بالنكرة: يذكرها النحويون في باب المبتدأ والخبر، ويذكرون من المسوغات التي تجيز الابتداء بالنكرة التصغير، نحو: رجيل جاءني[٢]. وهذا من أبواب الصرف كما يدل على ذلك بوضوح اسمه.

٥ ـ باب (كان) وأخواتها: يتناول الصرفيون التصريف العام لهذه الأفعال وغيرها، ويذكرون أن منها ما لا يتصرف كـ (ليس)، و (دام) على خلاف. وإن منها ما يتصرف تصرفاً ناقصاً كـ (زال) و(فتىء) و(برح) و(انفك)، وما يتصرف تصرفاً تاماً كـ(كان) وبقية أخواتها، فيأتي منها الماضي والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل[٣]، وهذا ـ بدون شك ـ شأن صرفي نقله النحويون وتداولوه في الدرس والتصنيف.

٦ ـ جموع التصحيح، والمشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل، وكذا المصادر، وفعلا التعجب القياسيان، وكل هذه مصطلحات تنتمي إلى أبواب مشتركة يدرسها الصرفيون لبيان كيفية صياغتها والخطوات المتبعة في ذلك، في حين يدرسها النحويون لإيضاح أثرها النحوي في التركيب وما يترتب عليه.

إن هذه النماذج ونحوها التي اختلط فيها النحو بالصرف، وكذلك ما كان النحاة يقدمونه أحياناً بين يدي دراساتهم النحوية من كلام في الصرف على نحو ما فعلوا في باب (الكلام وما يتألف منه) مثلاً، ومثلهما استخدام المصطلحات الصرفية أحياناً بدلاً من المصطلحات

(١) انظر ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك ٢/١٥٥.
(٢) انظر السيوطي، همع الهوامع ١/١٠١.
(٣) انظر خالد الأزهري، التصريح ١/١٨٦.

wadod.org

النحوية، كإطلاقهم اسم (المصدر) مثلاً على المفعول المطلق، واشتراطهم القيود الصرفية للقوانين النحوية كاشتراطهم الجمود للتمييز والاشتقاق للنعت والحال، كل ذلك يعني أن النحو لم يكن يستغني في أبوابه عن الصرف، كما يعني أن النحاة قد اعتادوا على استخدام صيغ الصرف ومصطلحاته وشروطه في أبحاثهم النحوية، مما يظهر ارتباط النحو بالصرف على نحو وثيق.

إن هذه النماذج تؤكد أيضاً ما ذهبنا إليه من قبل من أن الأبواب النحوية لم تكد تستقل عن التصريف، كما أن التصريف لعب وما زال يلعب دوراً مهماً في الدراسات النحوية.

وأخيراً لست أدري هل من حسن المنهج في التصنيف أم من سوئه ما نراه من تكرار المؤلفات النحوية لمصطلحات الصرف ومسائله مرتين، الأولى في خلال الدراسة لمسائل النحو حين تدعو الحاجة إليها، والأخرى بعد ذلك في الدراسة الصرفية الخاصة بها، والتي هي أصل فيه.

المصادر والمراجع

١ ـ ابن عصفور والتصريف، فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠١هـ، ط٢.

٢ ـ أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، بغداد ١٩٦٥م.

٣ ـ الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تقديم أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد قاسم، جروس برس ١٩٨٨م.

٤ ـ إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م.

٥ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، ومعه عدة السالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

٦ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، استانبول ١٩٤٥م.

٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٤م.

٨ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة ١٩٦٨م.

٩ ـ التصريح بمضمون التوضيح، خالد الأزهري، عيسى البابي الحلبي بمصر، بدون تاريخ.

١٠ ـ تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد سالم محيسن، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٤٠٧هـ.

wadod.org

١١ ـ التصريف الملوكي، ابن جني، دمشق ١٩٧٠م.
١٢ ـ تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة ١٣٨٤هـ.
١٣ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو الوفا محمد بن عبد القادر القرشي الحنفي، ، تحقيق عبد الفتاح الحلو، عيسى البابي الحلبي بمصر، بدون تاريخ.
١٤ ـ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٤٠م.
١٥ ـ الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م.
١٦ ـ دروس التصريف، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨م، ط٣.
١٧ ـ شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٥م، ط١٦.
١٨ ـ شرح التصريف الملوكي، ابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٩٧٣م.
١٩ ـ شرح الشافية، الرضي الاستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٥٦هـ.
٢٠ ـ شرح الشافية، العصام الاسفراييني، عيسى البابي الحلبي بمصر، بدون تاريخ.
٢١ ـ شرح الشافية، نقرة كار، عيسى البابي الحلبي بمصر، ، بدون تاريخ.
٢٢ ـ شرح كتاب سيبويه، السيرافي، مخطوط مصور عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٢٨.
٢٣ ـ الصاحبي، ابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٧٧م.
٢٤ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، مصر ١٩٦٣م.
٢٥ ـ الصحاح، الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ، ط٢.
٢٦ ـ الضياء في تصريف الأسماء، مصطفى النماس، ١٤٠٤، ط٣.
٢٧ ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، القاهرة ١٩٥٢م.
٢٨ ـ طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٥٤م.
٢٩ ـ الفهرست، ابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر، بدون تاريخ.
٣٠ ـ في الصرف العربي، فتحي الدجني، مكتبة الفلاح، الكويت ١٣٩٩هـ.
٣١ ـ الكتاب، سيبويه، بولاق ١٣١٧هـ.

wadod.org

٣٢ ـ كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، حاجي خليفة، استانبول ١٩٤٣م.
٣٣ ـ لسان العرب، ابن منظور، إعداد يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت.
٣٤ ـ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
٣٥ ـ المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨م.
٣٦ ـ مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٥م.
٣٧ ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق كرجليوث، دار المأمون بالقاهرة ١٩٢٣م.
٣٨ ـ المعجم العربي، حسين نصار، مصر ١٩٥٦م.
٣٩ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبري زاده، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبي النور، دار الكتب الحديثة بمصر، بدون تاريخ.
٤٠ ـ الممتع في التصريف، ابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٨هـ، ط٣.
٤١ ـ المنصف، ابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٧٣هـ.
٤٢ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ.
٤٣ ـ هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، استانبول ١٩٥٥م.
٤٤ ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله بن سالم مكرم، الكويت ١٣٩٥هـ.
٤٥ ـ الوجيز في التعريف بالصرف وتاريخه، عبد الكريم الأسعد، دار المعراج بالرياض ١٤١٤هـ.
٤٦ ـ اليسير في الصرف وتطبيقاته، محمود السمان، مصر ١٩٧٧م.

wadod.org

أهداف مِسْكَويه التربوية والنفسية في كتابه «الفوز الأصغر»

الأستاذ عجيل نعيم جابر(*)

أجمعتْ مصادر ترجمة مسكويه على أنه: أبو علي، أحمد بن محمد بن يعقوب، المعروف بمسكويه[١]. ولم يُشرْ أحدٌ من المؤرخين غير الخونساري إلى مكان ولادته بقوله: «إن ولادتهُ بالري»[٢] وكان الاختلاف متبايناً عند من كتبوا عنهُ في تاريخ هذه الولادة فمنهم من ظنَ أن ولادتهُ عام (٣٣٠هـ)[٣]، قال آخر: بأن هذا التاريخ غير معقول[٤]. وقال ثالثٌ مرجحاً أن تاريخ ولادتهُ ٣٢٠هـ[٥] وإن من الباحثين من أرجع ولادته إلى عام (٣١٠هـ)[٦] وكلهم رجحوا أن مسكويه لم يعمل مع الوزير المهلبي[٧] وزير معز الدولة البويهي[٨] وعمرهُ دون

---

* باحث ومحقق عراقي.

(١) ياقوت الحموي، أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث، القاهرة ج٥ ص٥ والقفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء القاهرة مطبقة السعادة ١٣٢٦هـ ص٢١٧ ـ ٢١٨ وابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٥ ص٣٣١.

(٢) الخونساري، محمد باقر، روضات الجنات في أصول العلماء والسادات، طهران ١٣٩٠هـ ج١ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٣) د. عبد العزيز عزت، ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، ط١، مطبعة عيسى البابي القاهرة ١٩٤٦ ص٧٩.

(٤) د. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠ ص٤٦٥.

(٥) د. عبد الرحمن بدوي، الحكمة الخالدة ط٢، دار الأندلس ١٩٨٠ مقدمة الكتاب ص٢١.

(٦) محمد أحمد عواد، مسكويه المعلم الثالث، المجلة الثقافية، عمان ١٩٨٨ العدد ١٨ ص٨٦.

(٧) المهلبي: أبو محمد، الحسن أصله من آل المهلب بن أبي صفرة، تسنّم الوزارة لمعز الدولة البويهي عام ٣٤٥هـ وكان يجدُ من سيدهِ قسوة شديدة مسكويه، تجارب الأمم، نشرة أمدروز، القاهرة ١٩١٤ ج٦ ص١٩٢.

(٨) معز الدولة البويهي: حكم بغداد وسادَ عليها، وأضعف شأن الخليفة العباسي. وكان لا يأبه كثيراً لحقوق رعيتهِ، خابطاً الناس، مستخرجاً الأموال منهم من غير وجوهها ت٣٥٦هـ، آدم متز، الحضارة الإسلامية =

wadod.org

العشرين سنة. إذ لا يمكن الاعتماد عليه في تنظيم المكاتبات الخاصة بالوزارة وهو دون سن النضوج معتمدين على تاريخ وزارة المهلبي الرسمية بأنها عام ٣٤٥ هـ.

والباحث يميل إلى أن ولادة مسكويه لا تتعدى ٣٢٥ هـ أو أقل من ذلك بقليل، لأن ذلك التاريخ لولادته يجعل عمله مع المهلبي الوزير منسجماً وهو في أوج شبابه واكتمالهِ.

ومن أكثر المؤرخين الذين نمطوا حياته هو ياقوت الحموي ناقلاً في ترجمته عن مسكويه من هنا وهناك حتى أنهُ أرّخَ لوفاته نقلاً عن يحيى بن منده[١]، بأن مسكويه (ت٤٢١هـ)، واستعرض كلاماً مأخوذاً من التوحيدي بأن مسكويه فقير بين أغنياء.. وإن التوحيدي أعطاهُ صفو الشرح لايساغوجي[٢]، وساقَ الحموي كلاماً كثيراً منقولاً من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» وهو يؤرّخ فيه لمسيرة مسكويه وثقافته وبساطتهِ في الفكر الفلسفي!! مشيراً إلى القول بمجوسية مسكويه بقوله: «وكان مجوسياً وأسلم[٣]» وهو قولٌ مجانبٌ للصواب تماماً، ولم تؤيدهُ المصادر التاريخية السابقة لياقوت، ولم يقل بهذه المجوسية الملصقة بمسكويه أحد من معاصريه (إطلاقاً)[٤]، ولو صدقت هذه المجوسية عنهُ لطارَ بها المؤرخون آنذاك، ولم يغفلوا ذكرها قطّ[٥].

ويخالف الحموي كثير من الكتاب والباحثين حول ما نسبهُ إلى مسكويه من المجوسية ومنهم (صاحب دائرة المعارف الإسلامية بقوله: «أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه، وقالَ بـ مشكويه فيلسوف ومؤرخ أسماهُ ياقوت مسكويه فقط، أي بدون ابن، وزعمَ أنه كان مجوسياً وأسلم بيدَ أنَّ هذا الزعم بعيد الاحتمال ذلك لأننا نعرفُ اسم أبيهِ، وجدّهِ، وربما كان خطأ ياقوت إلى أنه أسمى الفيلسوف مسكويه بينما هذا الاسم لجدهِ. وقد يكون الجدّ مجوسياً ثمَّ أسلم[٦]» فالمجوسية لجدّهِ وليس له. ويرى الباحث أن مسكويه مسلمٌ صحيح الإسلام متين العقيدة، عميق في ثقافتهِ الإسلامية، فلم يُعرف عنهُ ولم يذكر عنهُ

= في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت ط٤ ١٩٦٧ ج١ الصفحات ٥٥، ٥٨، ٥٩.

(١) ابن منده: يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق العبدي الأصبهاني، أبو زكريا بن منده، مؤرخ، حافظ للحديث من بيت علم من كتبه: تاريخ أصبهان، ومناقب الإمام أحمد، والتنبيه على أحوال الجهّال والمنافقين. اليافعي، مرآة الجنان ج٢، ص ٢٣٨، الزركلي، خير الدين، الأعلام ط٣ بيروت ج٩ ص١٩٤.

(٢) إيساغوجي: كلمة مقتبسة من اليونانية تعني (المدخل إلى مقالات أرسطو) ينظر: أبو الفرج الطيب، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج٥ ص٦ وص١٧.

(٤) التوحيدي أبو حيان (ت٤٠٠هـ) وهو معاصر لمسكويه لم يشير إلى ذلك إطلاقاً، والثعالبي في تتمة اليتيمة ت٤٢٩هـ ج١ ص٩٦.

(٥) عبد الرحمن بدوي، الحكمة الخالدة، المقدمة ص١٥.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت أفندي، المجلد الأول (عن أصل مسكويه) ص٢٢٧.

wadod.org

معاصروه أنه مال إلى دعوةٍ أو فئةٍ أو روّج لفكرةٍ أو قول بجانب الإسلام ويخالفُه وكذلك ما عُرف عنه الانضمام إلى فئةٍ أو زمرةٍ تروج أفكاراً معادية للدين الإسلامي سوى اهتمامه الفلسفي الأفلاطوني، وذلك سمة فلاسفة عصرهِ جميعاً حيث كانوا لا يخفون إعجابهم بالفكر الفلسفي اليوناني وأيضاً أن ثقافة مسكويه كانت ثقافة عربية إسلامية عميقة التأصيل قوة في تركيب الجملة، وقدرة في أدائها مما يدل على عراقة في تعلم الفكر الإسلامي وسلامة في الاهتمام باكراً، وهذا لا يتسنى لشخص حديث في إسلامه كما زعموا ذلك.

وأجمع واصفوه بأنهُ من أصحاب الفضل والأدب والسلوك المقيّد أخلاقياً في الذروة العليا سيرةً وأدباً[١].

أما فيما يتعلق بتسميته فهل هو ابن مسكويه أم مسكويه. وقد يردُ أحياناً بالتسميتين وهذا بعيدٌ عن الدقة والأصحُ أن يذكر مسكويه وليس بابن مسكويه، لأن المصادر القريبة له لم تذكره إلاّ بلفظة مسكويه «المعروف بمسكويه[٢]» وهذا الصواب عينهُ ولا معنى لما ورد عند بعض المؤرخين قولهم بابن مسكويه[٣].

والجدير بالملاحظة سواءاً كان الاسم مسكويه أم ابن مسكويه فالاسمُ لا يدلُ على أحد غيرهِ من المؤرخين ولا يترتب على ذلك أيةَ دلالةٍ تمايزية ولا دافع من هذه المداولة إلاّ الميل لضبط أسماء الأعلام.

أما نشأة مسكويه الثقافية، فهو ابن القرن الرابع الهجري نشأة وثقافة، وهو عصر النضوج الحضاري والفكري (القمة) ممّا ميّزهُ عمّن سبقهُ وما تلاهُ من القرون، فكان عصر المدارس الفكرية والفلسفية واللغوية، ومن أعمدتهِ، يحيى بن عدي[٤]، وأبو سليمان المنطقي[٥]، وأبو سعيد السيرافي[٦]، والرّماني[٧]، وابن زرعة[٨]، والعامري[٩]،

---

(١) الثعالبي، تتمة اليتيمة ج١ ص ٩٦ ـ ١٠٠.

(٢) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٣٥، المنطقي، أبو سليمان، منتخب صوان الحكمة ص١٥١.

(٣) الخونساري، روضات الجنات ج١ ص ٢٥٤، البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين مجلد ١ ص٧٣.

(٤) هو أبو زكريا المنطقي، انتهت إليه رياسة أصحابه في زمانه كان أوحد دهرهِ، ابن النديم، الفهرست ص٣٢٢.

(٥) هو أحمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، له كتب كثيرة منها: مقالة في مراتب الإنسان، ابن النديم، الفهرست ص ٣٢٢.

(٦) السيرافي: أبو سعيد، نحوي، عالم في الأدب كان معتزلياً، من كتبه: شرح كتاب سيبويه، الزركلي ج٢ ص٢١٠ ـ ٢١١.

(٧) الرماني: باحث معتزلي من كتاب النحاة مولده ووفاته ببغداد، من كتبهِ (المعلوم والمجهول) الزركلي ج٥ ص١٣٤.

(٨) ابن زرعة: أبو علي ابن إسحاق، أحد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، من كتبه (العقل) ابن النديم، الفهرست ص ٣٢٣.

(٩) العامري: أبو الحسن، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، الزركلي ج٨ ص ٢١ ـ ٢٢.

wadod.org

والقومسي[١]، وغيرهم كثير والتوحيدي خير من وصف ذلك القرن، ومفكريه بأقواله المبثوثة في كتبه الشهيرة.. وكان مسكويه متنقلاً وباحثاً أيضاً عن فرص الثقافة والتعلم فمرةً يكون مولعاً بكتب الرازي الكيمياوية ويتأثر بما يقوله ابن الخمّار، ومرةً أخرى يتنقل باحثاً عن فرص العمل مع الأمراء والوزراء. فبعد موت المهلبي رحلَ إلى ابن العميد[٢]. ليعمل خازناً لكتبهِ، ولم يكن مسكويه مصادماً لحكّام عصره مثلما فعل التوحيدي في مثالب الوزيرين[٣] ولكنهُ لم يكن غافلاً عمّا يجري من مظالم، فكان يدوّن الحادثة التاريخية وهي لا ترضي سيدهُ حتى عُدَّ مؤرخاً ناجحاً[٤]. ولكنه كان يرافق هؤلاء الحكّام لأنهم يجدون فيه أمانةً وحسن تدبير للعمل المناط به، وأكثر أعماله معهم خازناً لكتبهم النفيسة، وسجلات مراسلاتهم المهمة، لذا فقد أصبح كتابه تجارب الأمم من الكتب ذات الشأن في تسجيل الحوادث وقد يعوّلُ عليه كثيراً خاصة في تسجيل الفترات التي عاصرها[٥].

وقد أسهمت هذه الوظائف التي عملَ بها إلى أن يكون قريباً من مصادر الثقافة مطلّعاً على أهمها. ومن هنا فإن الشك لا يتطرق إلى كفاءة مسكويه الثقافية والفكرية لأنه كان مشرفاً وحافظاً لمكتبات أشهر الحكام والملوك.

لذا فإن مسكويه اكتسب ثقافة واسعة وكان مطلعاً على علوم الأوائل مع تشكيك التوحيد بذلك[٦]، ولكن هذا هو التوحيدي لم يسلم منه أحد حتى أساتذتهِ فقد غمزهم بشيء من اعتراضاتهِ[٧].

ويرى أحدُ الباحثين أن مسكويه مفكرٌ ومثقف ثقافةً أفلاطونية خاصة في كتابه الفوز الأصغر، وعدَّ كتاب مسكويه المذكور بأنه متقدّم في مرتبتهِ الفكرية على كتاب النجاة لابن سينا[٨].

والكاتب قد أوضح شيئاً من مفاهيم مسكويه في كتبه هذا بقوله:

«ويفهمُ مسكويه الإرادة بأنها القدرة على إتيان الأفعال الإرادية الناجحة وهذه الأفعال

---

(١) القومسي: أبو بكر: كان متفلسفاً، وصفه أبو حيان بحسن البلاغة، التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٣٤.

(٢) ابن العميد: أبو الفضل محمد بن الحسين، عماد ملك آل بويه جامع الأدوات الرياسة والوزارة، الثعالبي، اليتيمة ج ٣ ص ١٥٨.

(٣) عبد الرزاق محيي الدين، أبو حيان التوحيدي، سيرته وآثاره/المؤسسة المصرية للدراسات ط٢ بيروت ١٩٧٩ ص ٣٥.

(٤) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات ص ٤٦٨.

(٥) أحمد محمد عواد، المجلة الثقافية عدد ١٨ ص ٨٨.

(٦) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج ١ ص ٣٥.

(٧) المصدر نفسه ج١ ص ٣١ حتى المنطقي وهو أستاذه لم يسلم من غمزه.

(٨) د. ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدار المتحدة للنشر ١٩٧٩ ص ٢٥٩.

wadod.org

نوعان حسنة وسيئة، أو خيرة وشريرة، فالخيرة هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيهِ في الأمور التي وجدَ الإنسان لها، وخلقَ من أجلها، أمّا الشرور فإنها الأمور التي تسوقهُ عن هذه الخيرات بإرادتهِ، وسعيهِ أو بكسبهِ، وانصرافهِ[١]».

ومن الكتاب أيضاً من أشار إلى هذا التأثر الأفلاطوني عند مسكويه بقوله:

(إن مسكويه استشهد كثيراً بأفلاطون، وأشارَ إلى كتبهِ مثل كتاب (النواميس)، وكتب أخرى (كالجمهورية وفيدون)، وقد مثلّت تشابهاً كبيراً في الاتجاهات الأخلاقية[٢]).

وأشار كاتب آخر إلى أن الفضائل عند مسكويه أربع أصناف هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، وهي من نتائج القوة الناطقة والقوة الغضبية، والقوة الشهوية، فإذا عملت هذه القوى طبقاً لفضائلها حصل بذلك فضيلة رابعة هي العدالة[٣].

ويرى كاتب آخر أن مسكويه في نظرتهِ الفلسفية أهداف تربوية؛ لأنهُ يركز على سيادة الحكمة في المجتمع والإصرار على الحضارة الرقية كطريقة للعيش، والاهتمام بطلب الضروري، وحماية وحدة الأمة عن طريق (العدل المدني)؛ لأن العدل يمثل التزاماً أخلاقياً كبيراً يعود إلى استقرار اجتماعي الذي هو أصل الغنى الحضاري[٤].

أما كتاب الفوز الأصغر لمسكويه وهو محور هذا البحث فإنهُ يمثل مرحلة من مراحل النضوج الذهني والحضاري في تلك الحقبة من تطور مسيرة الأمة العربية والإسلامية، وهي بإجماع المؤرخين أنها أرقى ما وصلت إليه (الحضارة الإسلامية) فهو كتابٌ من الكتب ذات المضامين النافعة والأهداف التربوية البينة، وفيه شبكة من الأفكار النافعة والمفيدة[٥].

التعريف بالكتاب: كتاب يبحث فلسفياً في معالجة ثلاث مسائل هي الأصول: (إثبات الصانع، في النفس وأحوالها، في النبوات، وقسّم كل مسألة إلى عشرة فصول، محللاً بالشواهد العقلية والنقلية إثبات تلك الأصول، وقد جنحَ المؤلف في كتابه إلى الاختصار واعداً

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٦٤.

(٢) د. ناجي التكريتي، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨ ص ٣٤٣.

(٣) د. علي زيعور، الحكمة العملية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١ ١٩٨٨ ص ٣٤٠.

(٤) د. علي حسين الجابري، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٣ ص ١٢٣.

(٥) اعتمد الباحث على مطبوعين من الكتاب أحدهما تحقيق الدكتور صالح عظيمة، سلسلة إحياء التراث الفلسفي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧ والمطبوع الثاني فهو من منشورات مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، تحقيق الشيخ طاهر الجزائري، وقد أفدت من كلا المطبوعين خاصة من مقدمة الدكتور صالح القيمة جداً لأنها كانت عميقة بكل المعاني، وذات فهم لمحتويات الكتاب ولا توجد فوارق فكرية بين محتوى المطبوعين.

wadod.org

بأنه سيعود إلى التفصيل في كتاب آخر أطلق عليه الفوز الكبير[١]. وقد احتوى الكتاب معاني الحركة في النفس التي تشبه في سيلانها حركة الزمان والمكان معاً. ثم بيَّنَ أن المكان لا وجود له إلاّ بالحركة، والنفسُ لا تخلو من هذه الحركة، وحركتها ليست جسمانية، وليست مكانية، بل هي غير خارجة عن ذات النفس، فالجسم الخالي من النفس لا يتحرك[٢]. وقد أنكر مسكويه الزمان والمكان. فالزمان لا وجود له إلاّ في التكوين، والحركة الطبيعية لا وجود لها إلاّ في التكوّن[٣]، وتناول مسكويه في هذا الكتاب مسألة (إثبات الصانع) وأنهُ واحدٌ زلي ليس بجسم، وأنه واجب الوجود ليس بمتركب ولا متكثر، ولا متحرك، وأنه أبدعَ الأشياء من غير شيء)[٤].

أما مسألة النفس عند مسكويه فهي ليست بجسم ولا عرضٍ، وإنها تدرك المحسوسات والمعقولات، وإنها ليست الحياة بل هي التي تعطي الحياة، وهي لا تبطل ولا تموت، ولها حالٌ من الكمال والسعادة إذا قرنت بالحكمة)[٥]. أما الموضوع الثالث الذي تناولهُ الكتاب فهو «حقيقة النبوّة»، واتصال النبي مع الغيب، والفرقُ بينهُ وبين المتنبي، وبينهُ وبين الكاهن، فالكاهنُ يظنُ ويخمن لأنه صاحب أغراض ودرجات هؤلاء الكهّان متفاوتة بحسب قربهم من الأفق الأنساني، وهم مختلفون عن الأنبياء بأنه لا بُدّ أن يعتريهم الكذب، خاصةً بما يدعونهُ من المجالات المجهولة[٦].

أمّا أهداف مسكويه التربوية والنفسية في هذا الكتاب، فيمكن إجمالها بالمباحث التالية:

١ ـ «أثر الصور الحسية في الإدراك»:

الإدراك عند مسكويه لا يتخلص من تأثير المحسوسات إلاّ بالرياضة الطويلة، لأن الحسَّ معنا منذُ أول كوننا، والصور التي نستفيدها منهُ راسخةً في نفوسنا خاصة الأوهام التي تتبع الحواس عادةً فإذا أردنا أن ننظر في المعنى العقلي لندركهُ عارضتنا تلك الصور الحسية، وأوهمتنا لغليتها علينا، وألفنا لها، فلا نصلُ إلى ما نروم إليه[٧].

ويوضح مسكويه تداخل المستلمات الحسية مع المدركات العقلية، ولا ينظر لها وحدة متكاملة، فالحسُّ عنده ليس قاعدته لمكونات عقلية بل معزولٌ عن العقل وهو مصدر إعاقة العقل عن الإدراك والنمو. والتدريب العقلي عند مسكويه هو العمل المجرد (لتجريد) الأفكار

(١) الفوز الأصغر، تحقيق صالح عظيمة، المقدمة ص ١٤.
(٢) الفوز الأصغر ص ٣٢ وص ٨٤.
(٣) مقدمة المحقق ص ١٦.
(٤) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٥٠ وص ٥٨.
(٥) المصدر نفسه ص ٦٠.
(٦) المصدر نفسه الصفحات ١٢٣، ١٢٦، ١٣٠ وما بعدها.
(٧) مسكويه، الفوز الأصغر، دار مكتبة الحياة للطباعة، تحقيق طاهر الجزائري ص ١٤.

wadod.org

العقلية، التي تكتسب شرفها من تجريدها عن المحسوسات، لأن المحسوس تمويه الشيء الحقيقي، وهنا يدعو مسكويه إلى إضعاف كل متعلقات الحس والإكثار من التجريد، لأن الحواس هي حجب العقل الأكبر والمدركات السامية[١].

٢ ـ «القيمة المزاجية وتبدل التفكير»:

أوضح مسكويه بأن المزاج الرائق المعتدل يؤثر في نظرتنا للأشياء من حولنا، والنظرة هذه تتبدل تبعاً له وفق اعتداله وانقباضهِ والمزاج متعلّق بالصحة والمرض والشباب والقوة، والهرم والضعف، وغير ذلك من تقلبات المرء في حياتهِ[٢].

ومسكويه من الداعين إلى التشديد في تعلّم العلوم الفلسفية والعلوم الفلسفية أو أجزائها كما يسميها، الرياضيات، والطب، والمنطق فإذا المرء ارتضاها جميعاً، وبلغ أقصاها سُمي بعد ذلك فيلسوفاً[٣].

وفي حقيقة الأمر أن هذا هو التفكير السائد عند مفكري ذلك العصر وفلاسفته.

إن الفيلسوف هو جامع العلوم والموسوعي فيها. وذلك بحد ذاته يشكل دعوةً تربوية وتثقيفية عند مسكويه في طلب العلوم والحث عليها.

٣ ـ «السلوكية المفارقة للشريعة ودوافع ذلك»:

يرى مسكويه أن حدوث ذلك عند الأفراد بسبب الاندفاع في حُبِّ الغلبة والرياسة لأن من دوافعهما نيل اللذة، والشريعة تمنعُ هذه الاندفاعات وتكبحها فعندها يكثر الخلاف، وتفترق الناس. ويتناول من استطاع التأويل لنفسهِ مذهباً من الشهوات حتى أنهم يفعلون ما لا يليق بالخلق القويم مضطرين إلى ثلب من خالفهم وإنقاص شأنهِ، والخروج من ذلك إلى عداوتهِ ومحاربتهِ[٤]. وهذا القول عند مسكويه تحذيري وتربوي فهو يشعرُ مخالف الشريعة (الإسلامية) بأنه يفتقد إلى السلامة العقلية، وأنه خاضع وضعيف أمام شهواتهِ، وهو سلوك يعيد عن القيم الفاضلة، فالشريعة سامية في مراميها، وتهدف إسعاد البشرية. فإذا اندفع الإنسان إلى التزام ما يناقضها فهو غير جدير بالمسؤولية، ويكون من شأن الجهلاء أنهم يجافون الشريعة ويحاربون أحكامها؛ وذلك لأنها تردعهم عن غيهم، وتنظم شهواتهم، وتضبط سلوكهم وهذه أمور لا تشكل هدفاً عندهم لجهلهم منافعها[٥].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥.
(٢) مسكويه، الفوز الأصغر ص ١٥.
(٣) المصدر نفسه ص ١٦.
(٤) مسكويه، الفوز الأصغر ص ١٧.
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

wadod.org

٤ ـ «ديمومة النفس البشرية واختلافها عن الجسد»:

أوضح مسكويه قوله بالنفس في كتابه المشار إليه «بأنها ليست بجسم ولا عرض، بل هي جوهر قائمٌ بذاتهِ غير قابل للفناء. أما الأجساد فهي لا تقبل صورةً غير صورتها إلاّ إذا مَحوتَ صورتها السابقة فقبولها للصور متوقف على محو صورتها الأولى كالشمع لا يقبل صورة جديدة إلاّ بعد محو ما نقش عليه من صور». فالصور تفارق الأجساد مفارقة تامة أما النفس فهي مختلفة عن الجسد فهي تقبل الصور المختلفة، وتزداد بذلك قوةً على تصور سلسلة من المعقولات فالإضافة من أفكار ومعقولات وصور ذهنية لا تفسد بذلك أبداً بل تقوى وتكون أقوى على قبول صور أخرى حتى تزداد المعقولات بازدياد هذه الصور[١].

ويرى مسكويه أن قيمة الإنسان ليست ببدنهِ وهيكليتهِ الخارجية بل أن إنسانيتهُ تتجلى في نفسهِ، فعند القول أن فلاناً أكثر إنسانية من فلان معنى ذلك ازدياد الميل الإنساني في أحد النفسين أكثر من الآخر، وهذه النفس المقصودة في الإنسان تأخذ تسميات عدة فمرةً نفساً ناطقة، ومرة قوة عاقلة، وأخرى قوة مميزة، وهذه المعاني كلها لا تدل على جسم، فالجسم كله آلات، ولكل آلة فعل خاص بها. وإن هذه الآلات لا يستعمل بعضها بعضاً إلاّ بتوجيه فهي تشبه آلات الصانع، والنجار الذي يقودها إلى الحركة غيرها وهذا الغير هو الذي يعطيها الانسجام في عملها من غير غلطٍ ولا عجز[٢].

والنفس عند مسكويه تدرك الأمور المركبة، ثم تحلّلها إلى بسائط، ثم تأخذَ تلك البسائط في الوهم، فتفردها تارةً، وتركبها تارة أخرى من ضروب التركيبات، فربما كانت تلك التركيبات تستند إلى حقائق، وقد تكون غير مستندة إلى حقائق كما تُوهم عنقاء مُغرب، وإنسان يطير، وحيوان مركب من حمار ونعجة. فهذه لا حقائق لها ولا وجود خارج الوهم[٣].

٥ ـ «النفسُ هي القوة المسيطرة التي تقاوم لذات البدن»:

النفسُ تُدير البدن، وتسوسهُ سياسة رياسة، وهي غير محتاجة للبدن، لأنها تفارقهُ، وهي لا تقوى بقوة البدن، ولا تضعف بضعفهِ، وهي توزع أسرار الفعّالية الآلية للبدن عند صدور الغضب ليدفع الحي عن بدنهِ ما يؤذيه. وصدور الفكر والتخيل إنما يكون بأجزاء الدماغ، وهذه كلها آلات النفس[٤].

والنفس باقية أبداً، وإنما يُقال للجسمِ ميت إذا فارقته النفس، لأنها جوهر، والجوهرُ لا

(١) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٣٥.
(٢) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٣٥.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٩.
(٤) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٥٣ ـ ٥٤.

wadod.org

ضدَّ له، ولا يبطل، وهي غير مركبة فهي لا تنحلُّ[١]. وهي لا تقبل الموت مؤكداً ما قاله أفلاطون ناقلاً حججهُ بخلود النفس منها: إن النفس هي المعطية للحياة في كل حي، والنفسُ لا تفسد إنما لأن الفساد مقرون بالرداءة، والنفس متحركة من ذاتها. والرداءة فساد، والفساد مقترن بالعدم، والعدم مقترن بالهيولى، وبما أن النفس ليست هيولى فهي غير مقرون بالفساد ولا ينالها العدم[٢].

وهي متحركة من ذاتها، وكل ما كانت حركتهُ من ذاتهِ فهو غير فاسد فالنفسُ غير فاسدة[٣].

والنفسُ محيية للبدن فهي أولى بالحياة منُه، متفقاً مع قول أفلاطون عن ماهية النفس حيث قال: «أنها حركة وفي كتاب النواميس الذي يحركُ ذاتهُ فجوهرهُ حركة[٤]». وحركة النفس عند مسكويه هي حركة جولان وهذا الجولان موجود دائماً بها، ولا تخلو منه في حالٍ من الأحوال وحركتها ليست مكانية، لأنها ليست بجسمٍ، وحركتها ذاتية، لذا كانت الحياة فيها ذاتية[٥].

وحركة النفس تختلف عن حركة البدن، لأن حركة البدن تخضع للزمان أمّا حركتها فهي خارج الزمان. وسئل أفلاطون في كتاب (طيماوس) ما الشيء الكائن ولا وجود له؟ أو ما الشيء الموجود ولا كونَ له؟ فكان جوابه الكائن الذي لا وجود له (الحركة الزمانية والمكانية لأنه لم يؤهل لاسم الوجود فمقدار وجوده هو الآن، والآن يجري من الزمان مجرى النقطة من الخط ولما كان قسطهُ من الوجود لا يثبت في الماضي ولا المستقبل، وإنما هو بمسببٌ الآن فلا يستحقُ اسم الوجود، بل يقالُ أبداً هو في التكوين، والوجود الذي لا كونَ له هو الذي يكون فوق الماضي والمستقبل بل وجوده أشبه بالدهر أعني السرمد)[٦].

٦ ـ «النفسُ وسط بين العقل والبدن»:

والنفسُ عند مسكويه فاعلة من جهة ومنفعلة من جهة أخرى، وحركتها غير زائلة وغير مكانية، وما كان غير زائل فهو ثابت، والثبات هو السكون فوجبت على النفس أن تكون كذلك، وأن تكون حركة في صورة سكون، حتى أن مسكويه يقرُّ بصعوبة المقالة بقولهِ: «وهذا موضوع عويص ويصعبُ خاصة عند من لم يتدرب على المنطق، فالفلسفة لا تستقيم إلاّ مع المنطق، ويقصدُ مسكويه بأن النفس وسط بين العقل والبدن أي أنها تؤثر في البدن وتتأثر

(١) المصدر نفسه ص ٥٥.
(٢) المصدر نفسه ص ٥٧.
(٣) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٥٧.
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٦) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٦١.

wadod.org

بالعقل خاصة (العقل الفعّال)[١]».

وحركة النفس عند مسكويه ذات جهتين: إحداهما: نحو ذاتها؛ وهي تحركها نحو العقل الذي هو أول مبدع، والذي لا تنقطع مباديه بوجه ولا سبب.

والحركة الأخرى نحو الآلات الطبيعية لتكتمل الأجرام السماوية (الهيولانية) جهة تسوقها إلى سعادتها وبقائها اللائق بها، وجهة أخرى تحطمها وتخرجها عن ذاتها، وقد سميت عند الأوائل العلو والسفل أما الشريعة فهي وسط بين الجهتين فالآلات الطبيعية (أي نحو السفل) إذا حاولت إخراج النفس عن ذاتها فحضها من الشفاء ما تقتضيه الحال[٢].

٧ ـ «دعوة مسكويه إلى الاعتدال والموازنة»:

دعا مسكويه إلى رؤية وسطية بين متطلبات حركة النفس بين العقل والشهوات، ولم يقل يترك الدنيا جملة والإضراب عن عمارتها بقوله: «إنّ هذا رأيُ من لا يعلمُ كيف موضوع العالم، ولا يدري أن الإنسان أيضاً خلقَ مدنياً بالطبع؛ فهو لا يستغني في بقائهِ عن المعونات الكثيرة من الناس الكثيرين، وإنهُ يعينُ غيرهُ كما يعينهُ غيرهُ، لتتم الحياة الصالحة له ولهم[٣]».

وهو لا يدعو إلى العزلة بأي لون كانت أو استيحاش من الآخرين، لأن الإنسان إذا سلك طريق العزلة (قد مات) لعدم تمكنه من العيش لأنه ليس كسائر المخلوقات التي زوّدها الله بالاكتفاء الذاتي، فالمخلوق الحيواني مزوّد بآلة العيش كل على جنسهِ، فهذا بمنقار إن كان من أكلة الحب، وذاك بأسنان قوية، ومخالب موافقة للقطع والتمزيق والتعلم الغريزي عند الحيوان يعدهُ مسكويه إلهاماً، لأن الحيوان يتجنب ما يضرّهُ، ويختارُ ما يصلحُ له من القوت[٤].

حتى أن مسكويه نظر إلى المدينة نظرة اعتزاز، وعدّها من صلب الاجتماع الإنساني الراقي. فالتعاون عنده صفة لازمة للوجود الإنساني ولا تقوم للإنسان حياةٌ بدونهِ، ونظر مسكويه إلى العدالة وجعلها تاج الفضائل، وعدّها من أرقى المفاهيم الأخلاقية وإنها للناس، فالذين يدافعون عن الناس في الحروب كان لزاماً عدلاً على أهل المهن أن يعاونوهم، ويقدموا

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
العقل الفعّال: هو القوة الخالدة من النفس، وتستمد وجودها من وجود القوة العليا المطلقة، وهو المدبر لفعاليات الوجود النفسي.
أرسطو، كتاب النفس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، ط١ دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٩ ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) مسكويه الفوز الأصغر ص ٦٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥.

(٤) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٦٥.

wadod.org

لهم ما يحتاجون. وإذا قدّم أحدٌ شيئاً لآخر على الآخر أن يكافئه»[١].

ومسكويه مَقتَ العزلة، وعدّها نقصاً في مقوّمات التكوين البشري. وشبه المعزول عن الناس والعمل ظالماً لنفسهِ، حتى أن مفهوم العدالة قد لازم مسكويه ملازمة واضحة في مؤلفاتهِ ومسكويه قال بالمكافئة على قدر الاختصاص ووفق نوعية الإنتاج الذهني النافع فكل عندهُ يعطى ويكافىء على قدر فعله العقلي الناجز وحسب قدرته الذهنية والبدنية، وضرب مثلاً أن المهندس بقليل نظرهِ يُغني ما لا يُغنيه الذي يتعب ببدنهِ أياماً كثيرة، وقائد الجيش يُغني الجيش بخطتهِ وتدبيره فيغني الكثير[٢].

حتى أن مسكويه شدّد على أهمية (التراتبية) بين الناس، فالإنسان حسب مرتبته العقلية ووفق منزلته التي أعطيت له وزوّد بها فلا يطلبُ ما ليسَ له، ولا يُقصّر عمّا جُعل له، وعليه بلزوم وظائف الدين، وأن يتخلق بالأخلاق الجميلة، ويسير بالسير الفاضلة[٣].

٨ ـ «مفهوم النبوة عند مسكويه والحكمة العملية»:

يرى مسكويه بأن للأنبياء أهدافاً أرسلوا من أجلها وأهمها: «طب النفوس وهداية البشر» فالأنبياء أطباء نفوس يعالجون النفس من أسقام الجهالة بالأدب الحق لأنهم يأخذون الناس بالحق والآداب الصحيحة، والأعمال النافعة، فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم، ومن خالفهم تردى في سواء الجحيم، فهم والحكماء لهم أدوار عظيمة في إزالة ما اشتبه في أذهان الناس[٤].

ومسكويه من القائلين المكثرين في أهمية تدريب الذات، والسيطرة على نوازع النفس، وقمع الشهوات بين الجنبين. ومن أساسيات الإنسان العاقل، ومن خصاله الراقية أن يُصلحَ نفسهُ أولاً حتى يُصلح منزلهُ، ويتدرج في ذلك قائلاً: «من كمّلَ سياسة نفسهِ، وهذّبَ أخلاقهُ، وقمعَ عدو نفسه الذي بين جنبيه صَلُحَ لتدبير منزلهِ، ومن صلح لتدبير منزلهِ صَلُح لتدبير مدينة، ومن صلح لتدبير مدينة، صلح لتدبير مملكة». فإذا استكمل الإنسان الإطار النظري والقدوة العملية من الحكمة استحقَ أن يُسمى حكيماً أو فيلسوفاً وقد سعد السعادة التامة[٥].

وعدّ مسكويه لذة الإيمان بالله من اللذائذ النفسية العظمى. فإن هذه اللذة الروحية التي لا تزول هي القادرة على إعطاء الإنسان العزم والفضل، وتجعل اكتماله واجباً، ولا يقدر أي متسلط عليه أن يسلبَ منه هذه النعمة، والناس في ذلك متفاوتون إلى رُتبٍ ومقامات[٦].

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٦.
(٢) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٦٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٦٩.
(٤) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٦٩.
(٥) مسكويه الفوز الأصغر ص ٧٠.
(٦) المصدر نفسه ص ٧٢.

wadod.org

٩ ـ «سعادة النفس عطاء من الله»:

السعادة عند مسكويه فيض من الأعلى إلى الأسفل. فالله يفيضُ على العقل، والعقل يفيضُ على النفس، والنفس على الصورة، ولا يحدث العكس. فكل لذائذ السعادة اللمسية والشهوية هي ليست بسعادة والنفس عند مفارقتها البدن إنما تطلب السعادة شأنها شأن مفارقتها لذائذ الطفولة فالنفس حين تخلصها من البدن صار لها وجود أشرف من وجودها الصوري، ومرتبةً أعلى من المرتبة البشرية[١].

والسعادة التي تحدث عند مفارقة النفس للبدن مشروطة بما كسبهُ الإنسان من أعمالٍ خيّرة ونافعة، والراحات الجسدية لا تحمل معنى للسعادة المرجوة؛ لأن هذه الراحات واضحة الزوال وقد يصيب الإنسان ما يطردها عنه[٢].

ومسكويه من الداعين إلى إدامة التفكير مدى الحياة الدنيا في جميع الموجودات حتى يتحصل المرء شيئاً من حقائقها ويكون نظره وبصيرته حادة في التعرف لتظهر له الأمور الإلهية حتى لا يحتاج إلى قياس برهاني (أي أن الإنسان يتدرب على الإدراك الحدسي البديهي)؛ لأن للبرهان تدرج من الأوائل[٣].

والإنسان عند مسكويه مسؤول عن تدرجه بالمثابرة والتدبر الفكري فهو يترقى من قوة الحس إلى قوة التخيل إلى قوة الفكر ومن قوة الفكر إلى إدراك حقائق الأمور التي في العقل، لأن هذه القوة متصلة اتصالاً رحيماً[٤].

١٠ ـ «منزلة العقل عند مسكويه»:

أدرك مسكويه فاعلية العقل عند الإنسان وآمن بتنميتهِ وتطويره حتى قدّر تزويده بالمعلومة الملائمة لكفاءتهِ. والعلم لا يقدّم إلاّ لذوي الاستحقاق العقلي ومن لهم القدرة على الاستيعاب. مسكويه قال (بالفروق الفردية) بالمصطلح الحديث، وقد شبه تقديم العلم إلى الإنسان مثل تقديم الطعام. فالبدن الضعيف إذا أكثر من الغذاء القوي لم يحتملهُ، ولا يستطيع هضمهُ، وصارَ وبالاً عليه، واعتلَّ منهُ وربما كان سبباً في هلاكهِ، فكذلك حال النفس فيما يُلقى إليها من العلم ليكون تدبيرنا فيه شبيهاً بتدبير الطفل في غذائه من تدرجه باللبن ثم إلى أكل اللحم على مهل في زمان طويل[٥].

ومنزلة العقل عند مسكويه منزلة عظيمة حتى سمّاهُ: (إنه لملك مطاعٌ بالطبع). وهو عنده

---

(١) المصدر نفسه ص ٨١.
(٢) مسكويه، الفوز الأصغر ص ٨٢.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠١.
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥) مسكويه، الفوز الأصغر ص ١٠٤.

wadod.org

بأعلى المراتب، إذ أن جميع المبدعات دونه، ومحتاجةٌ إليه، وهو الذي يمدها بفضائلهِ فيشبههُ بصورة اجتماعية مألوفة (كالملك المطاع) وعبيده من حولهِ فإن أحسوا به انقبضوا ضرورة وهابوه طبعاً. وعلى هذا يجري مجرى الناس بعضهم على بعض. فإن عامتهم إذا وجدوا بينهم واحداً أكثر خطأ منهم في العقل فإنهم يهابونهُ، ويخصمون له، ويتبعونهُ منقادين له[١].

ومسكويه من دعاة مصارحة الذات في علاجها من أعراضها السلوكية المخطئة. فهو كثير التوصية بالبعد عن النفاق والمراءاة. وعلى المرء أن لا يكاذب نفسهُ ويوهمها بأنه صادق حتى أنه عدَّ هذا السلوك من أعجب الأمور في الإنسان يُظهر الشجاعة وهو جبان، وبخيلاً ويبدي سماحة، وظلوماً فيتكلف النصف وهذا كثير[٢].

وخلاصة القول في كتاب الفوز الأصغر للفيلسوف أبي علي مسكويه بأنه حفَلَ بشبكةً كبيرةً من المفردات الفكرية التي يمكنها أن تكون قواعدَ ومنطلقات لفلسفة تربوية أخلاقية تُسهمُ في إعداد الإنسان وتهذيبهِ بتخفيف من حدّة شهواتهِ، والتقليل من مخاوفهِ. وهي غاية قصوى عندَ أعاظم المفكرين والمصلحين، وكتاب مسكويه كُتبَ من أجل الإنسان حماية وصيانة وتطويراً لذا فهو من أفضل الكتب إنْ لم يكن في صميمها.

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريده دار الكتاب العربي، ص٤ بيروت ١٩٦٧.

٢ ـ أرسطو، كتاب النفس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية ط١ ١٩٤٩.

٣ ـ ابن أبي أصيبعه، موفق الدين بن أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق د. نزار رضا، بيروت ١٩٩٥.

٤ ـ التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ.

٥ ـ الثعالبي، عبد الملك بن منصور، تتمة اليتيمة، نشرة عباس إقبال، طهران ١٣٥٣هـ ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بلا تاريخ للطبع.

٦ ـ الخونساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، طهران المطبعة الحيدرية ١٣٩٠ هـ.

٧ ـ الزركلي، خير الدين، الأعلام، المطبعة العربية في مصر ١٣٤٥ هـ ١٩٢٨م والطبعة الرابعة، بيروت ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م.

(١) مسكويه، الفوز الأصغر ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧.

wadod.org

٨ ـ د. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠.
٩ ـ د. عبد الرحمن بدوي، الحكمة الخالدة لمسكويه (ترجمة بدوي) دار الأندلس ط٣ ١٩٨٠.
١٠ ـ عبد الرزاق محيي الدين، أبو حيان سيرته ـ آثاره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ بيروت ١٩٧٩.
١١ ـ د. عبد العزيز عزت، ابن مسكويه، فلسفتهُ الأخلاقية ومصادرها، ط١، عيسى البابي، القاهرة ١٩٤٦.
١٢ ـ د. علي حسين الجابري، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٣.
١٣ ـ د. علي زيعور، الحكمة العملية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨.
١٤ ـ أبو الفرج الطيّب، إيساغوجي، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
١٥ ـ القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة مصر، ١٣٢٦ هـ.
١٦ ـ د. ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدار المتحدة للنشر ١٩٧٩.
١٧ ـ محمد ثابت الفندي، دائرة المعارف الإسلامية ١٩٣٣.
١٨ ـ مسكويه، الفوز الأصغر، تحقيق طاهر الجزائري، مكتبة دار الحياة للطباعة والنشر، بيروت. الفوز الأصغر، تحقيق الدكتور صالح عظيمة، سلسلة إحياء التراث الفلسفي تونس ١٩٨٧.
١٩ ـ المنطقي، أبو سليمان، منتخب صوّان الحكمة، تحقيق دنلوب هنغارية ١٩٧٩.
٢٠ ـ د. ناجي التكريتي، الفلسفة الأخلاقية عند مفكري الإسلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.
٢١ ـ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١.

wadod.org

الحمامات العامة في بلاد الشام في العصر المملوكي

(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)

الدكتور خالد زنيد(*)

مقدمة:

تمثل الحمامات إحدى الخصائص الهامة للمدينة الإسلامية، فقد عرف العرب المسلمون الحمامات(١) (٢) منذ أوائل القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حيث وجد أكثر من حمام في بعض المدن التي أقامها المسلمون في بلادهم، ومن هذه الحمامات عُرف حمام عياض بن غنم(٣) في بيت المقدس(٤)، وحمام عمرو بن العاص في الفسطاط(٥)، كما وجدت ثلاثة حمامات في البصرة(٦).

وزادت الحمامات انتشاراً في بلاد الشام في العصر الأموي، حيث ظهر الكثير من هذه

---

* أستاذ في جامعة الأزهر ـ غزة ـ فلسطين.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٥ مجلداً، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، مج١٤ ص ١٩٧ ـ ٢٠٢.

(٢) هو عياض بن غنم بن زهير القرشي، أسلم قبل صلح الحديبية، كان على ولاية الشام زمن عمر بن الخطاب، وتوفي سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م في الشام، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧ مجلدات، تحقيق محمد إبراهيم البناء وآخرون، دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠، مج ٤ ص٣٢٧.

(٣) العليمي الحنبلي، أبو اليمن مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل، مجلد واحد به ٢ جزء، مكتبة المحتسب، عمان، نشر دار الجيل، بيروت، ١٩٨٣م، مج ١ ص ٢٦١.

(٤) بناها عمرو بن العاص في مصر سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، وسميت بذلك نسبة إلى الفسطاط الذي نصبه عمرو، وهو بيت من أدم أو شعر، انظر: الحموي: معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م، مج٤ ص ٢٦٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٨م، ص٣٤٨.

(٦) الروسان، محمد سليمان: تطور الحمام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من الاكتشافات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، أربد، ١٩٨٩، ص٩٠.

wadod.org

الحمامات، منها حمام قصر عمرة[١] في جند الأردن الذي يعود تاريخ بنائه إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك[٢] (٨٦ ـ ٩٦ هـ/٧٠٥ ـ ٧١٤م)، وحمام الصراح[٣]، وحمام قصر الحير الغربي[٤]، وحمام قصر الحير الشرقي[٥]، وغيرها.

وأكدت[٦] نتائج البحوث الأثرية إلى أن معظم حمامات بني أمية كانت حمامات خاصة، وليست عامة، بينما حمام قصر الحير الشرقي كان حماماً عاماً، وليس حماماً خاصاً، أقيم لخدمة الناس المتواجدين بالبلاد والزائرين لها[٧].

وقد يبدو تراجع أهمية بلاد الشام في الفترة العباسية نظراً لعدم اهتمام بني العباس بها، ومع قيام دولة المماليك في مصر والشام، تزايدت اهتمامات سلاطين المماليك في بناء الحمامات في بلاد الشام لأهميتها للسكان، كما أن توفر عنصر المياه ساعد على بنائها، فقد وجدت في دمشق أعداد كبيرة من الحمامات، وقد ذكر ياقوت الحموي: «ومن خصائص دمشق التي لم أرَ في بلد آخر مثلها كثرة الأنهار بها، وجريان الماء في قنواتها، فقلّ أن تمر بحائط إلاّ والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض ليشرب منه ويسقى الوارد والصادر»[٨].

وشهدت مدن بلاد الشام في العصر المملوكي قيام كثير من الحمامات، فعلى سبيل المثال بلغ عدد حمامات دمشق خمسة وسبعين حماماً في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[٩]، في حين بلغ عدد حمامات حلب سنة ٦٥٧ هـ/١٢٥٨م مائة وخمسة وتسعين حماماً[١٠] بينما بلغت حمامات القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر

---

(١) غوانمة، يوسف: عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان، ١٩٧٩م، ص١٩٣.

(٢) الروسان: تطور الحمام، ص٧٨ ـ ٨٥.

(٣) الريحاوي، عبد القادر: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م، ص٦١.

(٤) المرجع نفسه، ٦٨.

(٥) الروسان: تطور الحمام، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢ ص٤٦٥.

(٧) ابن عبد الهادي: رسائل دمشقية، حققها وقدم لها صلاح الدين الخيمي، الطبعة الأولى، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٦.

(٨) العرضي، أبو الوفاء عمر: معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، تحقيق عيسى سليمان أبو سليم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٢م، ص١٢٣، انظر: الكواكبي، سعد زغلول، الحمامات في حلب عبر التاريخ والأدب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، العدد الرابع، ١٩٧٥م، ص١٤٦ ـ ١٨١.

(٩) اليعقوب، محمد: ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م، ص٥١٨ ـ ٥٢٩.

(١٠) عثمان، محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة.

wadod.org

الميلادي تسعة حمامات[١].

أهمية الحمام في المدينة الإسلامية:

كان للحمامات أهمية عظمى في حياة الشاميين، فالحمام هو المكان الذي يشعر فيه الإنسان ببهجة الحياة، لأن الاستحمام يولد في النفس إحساساً بالراحة، ويحدث شعوراً بانتعاش البدن والروح، فالحمام مؤسسة صحية اجتماعية ارتبط وجوده بالمدينة الإسلامية، فالحاجة ماسة لبناء حمامات تلبي احتياجات العامة، وغير العامة من سكان المدن[٢].

وجاء توزيع الحمامات في المدينة الإسلامية وفق اعتبارات كثيرة منها، الكثافة السكانية في أحياء المدينة وحاجتهم، حيث نلاحظ انتشار الحمامات بالقرب من المساجد[٣]، لحاجة المصلين للتطهر قبل الصلاة. كما اشتملت القلاع والخانات والمدارس والبيمارستانات على بعض الحمامات، أو أن تكون الحمامات قريبة من هذه المؤسسات الهامة في المدينة الإسلامية[٤].

كما يجب أن نذكر أن موقع الحمامات الرئيسي يكون في وسط المدينة قرب السوق حتى يتمكن جميع سكان المدينة من الوصول إليه[٥].

ومع تطور الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، أصبح الحمام شيئاً هاماً ووسيلة من وسائل التنعم، وهذا ما جعل ابن خلدون يعتبر وجود الحمامات في المدن الإسلامية مظهراً من مظاهر التنعم والترف[٦].

كما ظهرت الحمامات الصحية في مدن بلاد الشام، حيث أنشئت على الينابيع المعدنية الحارة، والتي كانت تعتبر وسيلة من وسائل الاستشفاء، حيث ذكر ابن بطوطة أثناء زيارته لمدينة طبرية: «وبها الحمامات العجيبة، بها بيتان أحدهما للرجال، والثاني للنساء، ماؤها شديد الحرارة»[٧].

---

(١) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، المجلد ١٢٨ ص٢٤٦.

(٢) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، قسم تاريخ دمشق، ص ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزءاً، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج١٣ ص٣٦٠.

(٣) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة (قسم تاريخ دمشق) ص٤٠.

(٤) هيوار: الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنقاوي، وعبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، مج٨ ص٦٨.

(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص٣٧٧.

(٦) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار/ المعروف برحلة ابن بطوطة، دار التراث العربي، بيروت ١٩٦٨م، ص٥٨.

(٧) تطلي: رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥م ص١١١.

wadod.org

وقد وصف بنيامين التطلي حمامات طبرية بأنها: «تنبجس من باطن الأرض»[١]، وكانت تسمى بالحمة، حيث كان السكان بلاد الشام يذهبون إليها من أجل العلاج من أمراض المفاصل والقروح والجرب وغيرها من الأمراض التي ارتبطت بمثل هذا النوع من هذه الحمامات[٢].

كما وصف الشيزري فوائد الحمام الصحية، بقوله: إنها تذهب الحكة، والجرب والإعياء، وترطب البدن، وتجود الهضم، وتنضج الزكام والنزلات[٣].

وخلاصة القول: إنّ الحمّام لم يعد مقصوراً على كونه مكاناً للتطهر والنظافة، بل أصبح مكاناً للمتعة والعلاج.

حمامات مدن بلاد الشام في العصر المملوكي:

شهدت مدن بلاد الشام في العصر المملوكي قيام الكثير من الحمامات التي كان من الصعب حصرها، وذلك لكثرتها وانتشارها في أغلب المدن والقرى الشامية، إلى جانب زيادة عدد هذه الحمامات نتيجة زيادة عدد سكان بلاد الشام، كما أن بعض المصادر أغفلت ذكر بعض الحمامات إلا أن ذكرها جاء عند الحديث عن حادثة معينة، مثل الحادثة التي ذكرها ابن كثير عن الحمام الذي أودى بحياة نساء حمص نتيجة سيل كبير[٤].

فدمشق مدينة الشام الأولى، فقد بلغت حماماتها زمن ابن عساكر ما يقارب سبعة وخمسين حماماً، ثم تزايدت حماماتها زمن ابن شداد إلى مائة وسبعة عشر حماماً، ثم زادت حتى وصلت زمن الأربلي إلى مائة وسبعة وثلاثين حماماً[٥].

في حين ذكر ابن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) بصورة أكثر تفصيلاً أن هناك مائة وحمامين داخل دمشق، في حين كان خارجها ثمانون حماماً[٦]، كما وجد في القدس في القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي تسعة حمامات[٧].

ويبدو أن عددها قليل مقارنة ببعض المدن الشامية الأخرى نظراً لنقص المياه بالمدينة، ويبدو أن المدينة كانت تعاني من مشكلة نقص المياه، إذ كانوا يعتمدون على صهاريج وآبار

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٩ أجزاء، معهد الدراسات الشرقية، نابولي، روما، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٧، ج٤ ص٣٦٤.
(٢) الشيزري: نهاية الرتبة في طلبة الحسبة، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١ ص٨٦.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤ ص١٦٤.
(٤) ابن عبد الهادي: رسائل دمشقية، ص٤٦.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٧ ـ ٦٠.
(٦) اليعقوب: ناحية القدس، ص ٥١٨ ـ ٥٢٩.
(٧) تنكز: سيف الدين أبو سعيد، نائب السلطنة، هابه الأمراء بدمشق ونواب الشام.

wadod.org

لجمع مياه الأمطار، وقد حاول أمراء المماليك حل المشكلة عندما قام الأمير تنكز[١] بجلب الماء من عين العروب إلى القدس مما ساهم في بناء حمامين فيها[٢].

أما حلب فقد ذكر ابن الشحنة[٣] أن بها سبعة وأربعين حماماً، غير الحمامات التي جاء ذكرها عند ابن شداد، في حين كان في طرابلس ثلاثة حمامات، وهي: حمام الحاجب وحمام عز الدين وحمام النوري[٤].

أنواع الحمام وأقسامه:

أقيمت في مدن بلاد الشام نوعان من الحمامات، النوع الأول: الحمامات الخاصة التي تعود لأصحاب البيوت، حيث ذكر ابن شداد[٥] أن حمامات الدور بحلب بلغت ثلاثين حماماً، ومن المحتمل أن هذه الحمامات كانت تقيمها الأسر الثرية القادرة على بنائها، حيث امتاز هذا النوع من الحمامات بالنظافة، وصلاحيتها الصحية[٦].

ويغذى هذا النوع من الحمامات من الأنهار الكثيرة في مدن الشام، فمثلاً نهر بردى يمر في مدينة دمشق ويتفرع إلى فروع عدة[٧] ليغذي حارات المدينة، وأحيائها ومرافقها الأخرى[٨]، إلى جانب نهر العاصي الذي يمر عبر مدن شامية كثيرة، حيث تستفيد كثير من المدن القريبة منه، ويبدو أن الحمامات كانت ترتبط بالأنهار والقنوات من خلال شبكات خاصة من المجاري الفخارية التي تمر قرب هذه المدن[٩].

بينما مدن الشام الأخرى التي لا يمر قربها نهر، فيتم ربط المدن بقنوات من أجل إيصال المياه للحمامات، وبعد أن يصل الماء للحمام يتم توزيعه داخل الحمام بفضل موزع خاص

---

(١) ثم تغير عليه السلطان المملوكي، وقبض عليه وأرسله للإسكندرية حيث قتل سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢ جزء، باعتناء هلموت ريتر، نشر دار فرانز شاينر بيفيسباون، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج١ ص٤٢٠ ـ ٤٣٥.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءاً.

(٣) الأجزاء من ١ ـ ١٢ مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر في القاهرة، ١٩٦٣م، ج٥ ص ١٥٤، العسلي، كامل: من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢م، ص١٦٤.

(٤) ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨.

(٥) سالم السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص٤٥١.

(٦) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق دومينيك سوريدل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م، ج١، قسم ١ (قسم حلب)، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٧) كيال، منير: الحمامات الدمشقية، ١٩٨٦، ص ٢١٥.

(٨) لمزيد الاطلاع حول فروع نهر بردى، انظر: ابن عبد الهادي: رسائل دمشقية، ص ٢٣ ـ ٣٥.

(٩) ابن الشحنة: الدار المنتخب، ص١٤١.

wadod.org

تحت إشراف القائمين على الحمام[١].

أما النوع الثاني من الحمامات فهو الحمامات العامة، التي تنقسم إلى قسمين، قسم خاص بالرجال، وآخر خاص بالنساء، ويبدو أحياناً أن الحمام الواحد استخدم من قبل سكان المدينة الشامية على فترتين، الأولى للنساء والثانية للرجال[٢].

وقد اهتم سلاطين دولة المماليك بهذه الحمامات من حيث التقسيم والتنظيم والترتيب، وقاموا برصف أرضيتها بالبلاط وتزيينها بالزخارف ذات الألوان الجميلة[٣]، وقد قسمت الحمامات إلى أربعة أقسام، أطلق على القسم الأول منها البراني أو المشلح أو المسلخ الذي يعتمد على أربع قناطر من الحجارة، وعليه قبة معقودة من الطوب والآجر، ويحتوي على إيوانين ومقصورتين معقودتين بالطين والآجر، وفي منتصف المسلخ توجد فسقة (بركة) للماء البارد، والبيت البارد يقع على يمين الدهليز الموصل من المسلخ إلى بيت التسخين، ومن الدهليز يمكن الوصول إلى الوسطاني[٤].

ويعتبر هذا القسم هو أول الأماكن التي يدخل إليها من يرغب بالاستحمام، وهو بمثابة صالة كبيرة لاستقبال رواد الحمام، وهي صالة رباعية الشكل، سقفها على شكل قبة، بها نوافذ زجاجية محكمة، توفر الضوء اللازم لهذا المكان من تلك الحمامات[٥].

وفي القسم الأول يقوم زائر الحمام بخلع ملابسه فيها، وهي مغلقة حتى لا تسمح بدخول هواء بارد إليها، كما أن الباب الذي يوصل إليها لا يفتح عليها مباشرة، وإنما يأتي بشكل ملتوٍ حتى لا تتسرب حرارة المكان إلى الخارج[٦].

ويحتوي هذا المكان على أثاث الحمام المتمثل في مقاعد استراحة، وأرضية مفروشة ببسط ذات ألوان متعددة، ويجلس على جانبي المدخل آمر الحمام حيث يرحب بالزائرين للحمام، ويأخذ منهم أجرة حماماتهم بعد أن يودعهم ويبارك لهم في حماماتهم، كما يوجد في هذا المكان بالقرب من آمر الحمام أماكن لوضع مناشف الحمام، في حين يقوم رواد الحمام بإيداع أغراضهم الثمينة مع آمر الحمام[٧].

---

(١) كيال، الحمامات، ص٢٨٤.

(٢) أيكورشال، ميشيل، ولوكور، كلود: حمامات دمشق، الجزء الأول، تعريب ممدوح الزركلي، ونزيه الكواكبي، دمشق، ١٩٨٥م، ج١ ص٢٠.

(٣) العلبي، أكرم حسن: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٢٠م) الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ١٢١.

(٤) ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٦٧ - ٧٠.

(٥) غوانمة: تاريخ شرقي الأردن في عصر المماليك الأولى (القسم الحضاري، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩م، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٦) كيال: الحمامات، ص٢١٧.

(٧) ايكورشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٢٣.

wadod.org

في حين يطلق على القسم الثاني من الحمام الوسطاني، ويتكون من جزأين، خارجي وداخلي، أما الوسطاني الخارجي، وهو بمثابة مشلح شتوي، يستخدمه رواد الحمام كبار السن الذين يتأثرون بالبرد، ويحتوي هذا المكان على مقاعد، وبركة تستخدم لغسل هذا المكان وتنظيفه[١].

أما القسم الثاني من الوسطاني الداخلي، حيث يستخدم في فصل الصيف، ويشتمل على عدد من المقصورات والأحواض، والخزانات التي بداخلها حلتان مختلفتان في الحجم من النحاس تساعد على تسخين المياه[٢].

بينما القسم الثالث من الحمام، فيطلق عليه اسم الجواني الحار، وهو بمثابة صالة كبيرة الحجم، تدخل الحرارة إليها من الحرق بواسطة فتحة واقعة مقابل باب الدخول للصالة، وفي هذا المكان يستريح رواد الحمام لفترة طويلة من أجل أن يتصبب العرق منهم[٣]، كما أن هذه الصالة في غاية الإحكام والإغلاق، بحيث يتم إنارتها من خلال القمريات التي تشكل فتحات زجاجية بالقباب، وتسهم في التخلص من الزيت المحروق المستخدم للإنارة، ومن خلال هذه القمريات يمكن التعرف على الوقت[٤].

أما القسم الرابع فيطلق عليه اسم القميم، حيث يؤدي إلى مدخل خاص به، ويتكون القميم[٥] من ثلاثة أشياء هي الخزانة، والموقد، ومسكن القميم، أما الخزانة فهي عبارة عن غرفة معدة لخزن أدوات الماء، وهي في الغالب صغيرة الحجم، وترتفع عن باقي غرف الحمام الأخرى بحيث لا تسمح لخروج البخار منها، وبالتالي تفقد حرارته، وبذلك يتم وصول البخار إلى الصالة عبر فتحات معينة ومن ثم إلى باقي الأماكن[٦].

أما عملية تسخين المياه فتتم عن طريق مصنع الحلة النحاسية الكبيرة على الموقد، ويسخن الماء إلى درجة حرارة معينة، ويكون هناك أنبوب يربط بين الحلتين حتى يتم المحافظة على درجة حرارة واحدة، وبعد ذلك يتم فيضان الماء من كل جهة من جهات المقعد الذي يحمل الحلتين، حتى ينسكب على المكان، ويصل إلى ارتفاع ٤٠ سم، وبذلك يتم تجمع كميات من البخار بسرعة وغزارة كثيفة[٧].

أما الموقد فهو عبارة عن أسطوانة مفرغة توضع فوقه الحلة الكبرى، ويوجد به فتحة

---

(١) كيال: الحمامات، ص ٢٢١، ايكورشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٢٥.
(٢) ايكورشار، ولوكور: حمامات دمشق ج١ ص٢٨.
(٣) غوانمة: تاريخ شرقي الأردن، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٤) إيكورشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٢٨.
(٥) المرجع نفسه، ج١ ص٢٨.
(٦) كيال، الحمامات، ص٢٢٧.
(٧) إيكورشار، ولوكور: حمامات دمشق ج١ ص٢٩.

wadod.org

صغيرة ليتمكن القميم من إشعال النار من خلال المجرى المنحني الذي يتصل من القسم العلوي من الأسطوانة إلى أرضية الموقد، وقد يستخدم روث الحيوانات، والحطب والقش وقوداً[١]، وتحتوي أرضية الموقد على ثقوب يتم من خلالها سقوط الجمر والرماد من فتحات صغيرة، حيث يستخدم جزء منها في طلاء سطوح المباني[٢].

أمّا سكن القميم فهو عبارة عن باحة صغيرة، بها أكداس من الوقود تستخدم لتغذية الموقد، كما يستعملها لنشر الوقود في الشمس من أجل تجفيفه، إلى جانبها إسطبل صغير للدابة التي تنقل الوقود المستخدم في هذه الحمامات[٣]، ويبدو أن البعض عمل في هذا المكان حتى أطلق عليه القميني[٤] إلى جانب كونه سكن قميم حمام نور الدين زنكي[٥].

وخلاصة القول لابد أن نذكر أن «الحمام يقسم إلى دائرة خارجية في وسطها بركة مستديرة ينسكب فيها الماء من أربعة أو خمسة أنابيب، وحولها مصاطب، يخلع عليها المغتسلون ثيابهم، ويقدم لهم ما يلزمهم من البشاكير، والمناشف وما شاكل ذلك، أما دائرة الاستحمام فتنقسم إلى قسمين: خارجي وداخلي، ولكل منها أجران، ولكل جرن أنبوب ماؤه حار، وآخر بارد، أما سقف دائرة الحمام فهو عقد ذو نوافذ صغيرة مستديرة يغطيها بلور، وسقف الدائرة الخارجية قبة شاهقة[٦].

إدارة الحمام والإشراف عليه:

كان طبيعياً أن الحمامات الشامية بحاجة إلى إدارة وإشراف حتى تتمكن أن تؤدي خدمة لروادها من كلا الجنسين، فهذه الحمامات بحاجة إلى موظفين ليقدموا خدمات للزائرين، وعرف من هؤلاء الموظفين الآمر أو المعلم الذي يشرف على إدارة أمور الحمام، من حيث مستلزمات الحمام، ومراقبة الموظفين العاملين بهذا الحمام[٧].

أما موقع المعلم في القسم البراني حيث يجلس على دكة، يراقب أحوال الداخلين والخارجين من حيث الترحيب بهم وخدمة من يحتاج منهم إلى خدمة[٨]، فذكر أن السلطان سليم العثماني دخل حمام الحموي في دمشق، وأعطى لمن حلق له خمسمائة درهم أجراً له،

(١) المرجع نفسه، ج١ ص٢٩ ـ ٣٠.
(٢) المرجع نفسه، ج١ ص٣١.
(٣) كيال: الحمامات الدمشقية، ص٢٣٠.
(٤) المرجع نفسه، ص٢٣٠.
(٥) انظر العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، الجزء الأول، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ج١ ص ٢٢٦.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣ ص٢٢٩، انظر: العيني، عقد الجمان، ج١ ص٢٢٦.
(٧) ابن عبد الهادي: رسائل دمشقية، ص٦٠.
(٨) كيال الحمامات الدمشقية، ص ٢٣٥.

wadod.org

ولمعلم الحمام كذلك[١].

أما بخصوص حمامات النساء، فيبدو أن معلمة الحمام (زوجة صاحب الحمام) أو إحدى العاملات المستأجرات تقوم بما يقوم به معلم الحمام[٢] من خدمة النساء.

ومن المشرفين على العمل بالحمام البلان[٣] وهو الشخص الذي يقوم بإجراء عملية الاستحمام، من غسل، وتدليك وفرك للمستحمين، وله عدة مساعدين يقومون بمساعدته في أعماله، ومنهم التبع الذي هو مكلف بنتف الشعر إلى جانب الناطور، ويعد البلان من الشخصيات المهمة في الحمام فهو بمثابة الريس، في حين عرف عند حمام النساء شخصية البلانة.

وعرف كذلك الناطور أو الحمامي الذي ينوب عن الآمر في حالة غيابه، إلى جانب عمله الذي يتمثل في المحافظة على نظافة الحمام، واستقبال الزائرين، ومساعدتهم في خلع ملابسهم والحفاظ عليها[٤]، وتوفير المآزر[٥] التي تؤجر للزائرين، ويساعد البعض منهم على ارتدائها، وغالباً ما تكون المآزر عريضة واسعة تستر أجزاء الجسم.

إلى جانب هؤلاء عرف بعض العاملين في الحمام، فهناك الزبال الذي يقوم بنقل الأخشاب والحطب وروث الحيوانات إلى موقد الحمام لاستخدامها كمحروقات[٦]، وكذلك القميني الذي يشعل النار تحت الحلل المستخدمة لتسخين المياه في الحمام[٧].

أما عملية الإشراف على المستحمين فتتم من خلال إدخال المستحم إلى المشلح، ويقوم بخلع ملابسه، ثم يتوجه الناطور بلف المستحم بفوط خاصة على أجزاء جسمه، فهناك فوط تلف على خاصرته ويطلق عليها الماوية، وأخرى على كتفيه تسمى الظهرية[٨]، ثم يقوم المستحم بلبس أحذية خشبية من أجل الوقاية من الحرارة الأرضية[٩]، ثم يجلس في الصالة البرانية حيث يكون أخذ كفايته من البخار ثم يتوجه إلى حجرة خاصة في الوسطاني لعملية نتف الشعر، ثم يدخل إلى الصالة الجوانية ويستريح على مقعد به ثقب لفترة تمتد من عشر

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(٢) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تاريخ مصر والشام، قسمان، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٢، القسم الثاني ق٢، ص ٣٢.

(٣) ايكوشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٤٤، كيال: الحمامات الدمشقية، ص٢٤٤.

(٤) ايكوشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٤٥.

(٥) كيال: الحمامات الدمشقية، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧، انظر: الشيزري: نهاية الرتبة.

(٦) ص١٥٦.

(٧) مآزر مفردها مئزر، وهي عبارة عن قطعة من القماش الملون بخطوط مختلفة، يتم تجميعها على ميازر، انظر: ابن منظور: لسان، مج٤ ص١٦ ـ ١٩، الكواكبي: الحمامات في حلب، ص١٧٩.

(٨) ايكوشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٤٥.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣٥ ص٢٢٩، كيال: الحمامات الدمشقية، ص٢٤٧.

wadod.org

دقائق حتى ثلاثين دقيقة حتى يعرق كثيراً، ثم ينتقل إلى المقصورة في الجواني، حيث يجلس على كرسي خشبي قرب جرن الماء الساخن، ويقوم المدلك بصب الماء عليه، ثم يتمدد المستحم على أرضية الحمام، حيث يقوم المدلك بتدليك أجزاء جسم المستخدم، ثم يعود إلى المشلح حيث يعطى مناشف لتغطية أجزاء جسمه ويتجفف بها من آثار العرق والمياه[١].

ملكية الحمام وتمويله:

هناك نوعان من الملكية، الملكية الخاصة لجهة معينة، وأغلب هذه الحمامات من بناء سلاطين المماليك وأمرائهم، حيث يقومون بوقفها على بعض المؤسسات الدينية أو التعليمية أو غيرها[٢]، فمثلاً السلطان الظاهر بيبرس بنى حماماً على باب القلعة بدمشق[٣]، كما بنى الأمير عز الدين الحموي نائب دمشق حماماً نسب إليه يعرف بالحموي[٤]، وكذلك بنى الأمير تنكز حمامات في مدن الشام، عرف منها حمامان بالقدس[٥]، حمام قرب مسجد دمشق، وآخر قرب قارا[٦].

وقد اختلفت قيمة هذه الحمامات نظراً لاختلاف جودتها وميزاتها، فهذا حمام الأمير تنكز بدمشق يقدر بمائة ألف درهم، وثان بعشرة آلاف درهم، وثالث بستة آلاف درهم[٧] كما تراوحت أسعار بعض الحمامات ما بين نصف درهم إلى أربعة دراهم[٨].

وقد أخذت الدولة الضريبة من الحمامات، ويبدو اختلاف الضريبة من حمام لآخر حسب دخل كل منهما، ولم تحدد بعض المصادر ما يفرض على الحمامات، حيث ذكر ابن العماد الحنبلي أنه سعى في إبطال ما يؤخذ من قوام الحمام[٩]، وذكر المقريزي أنه في سنة ٨١٣ هـ/ ١٤١٠م أخذ «من خانات وحمامات وطواحين وبساتين دمشق أجرتها عن ثلاثة أشهر سوى

(١) ايكوشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٤٦.
(٢) هيوار: الحمام، مج٨ ص٦٨.
(٣) ايكورشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٤٦ ـ ٤٧.
(٤) العسلي: كامل من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢م، ص١٧١.
(٥) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، قسم دمشق، ص٤٠.
(٦) الحموي: هو أبيك بن عبد الله التركي الظاهري، أحد أعيان الأمراء بديار مصر، تولى نيابة دمشق، ثم توفي في سنة ٧٠٣هـ/١٣١٣م، انظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، الجزأين الأول والثاني، تحقيق محمد محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ج٢ ص٣٣.
(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩ ص ١٥٤ ـ ١٥٨.
(٨) قرية كبيرة تقع بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق، وهي منزل للقوافل، وأغلب أهلها نصارى، انظر: ياقوت: معجم البلدان، مج٤ ص٢٩٥.
(٩) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩ ص١٥٤ ـ ١٥٦.

wadod.org

ما أخذ قبل ذلك»[١] مما يُعرف أن أجرتها تؤخذ شهرياً.

أما الملكية الثانية فهي ملكية خاصة، الهدف من بناء هذه الحمامات الاستثمار التجاري[٢]، وقد يلجأ صاحب الحمام إلى تأجير حمامه للفترة مقابل مبلغ من المال يتفق عليه الاثنان، حيث يتم التأجير بناءً على الامتيازات التي تتوافر في هذه الحمامات[٣].

أهمية الحمام الاجتماعية:

لم يقتصر دور الحمام على كونه مكاناً لتنظيف الأجسام، بل لعب دوراً اجتماعياً، فكان مختلف فئات وطبقات المجتمع يخرجون للحمامات من أجل ممارسة نشاطهم الاجتماعي فيه[٤]، كما ذهب أهل الذمة إلى الحمامات في مدن بلاد الشام، وفق علامات معينة وضعت عليهم لتميزهم عن الآخرين[٥].

وقد خرج في مناسبات الأفراح كل من العروسين إلى الحمام من أجل الاستحمام بها، وسط أغانٍ شعبية، فقد أكد ابن كثير مرافقة كثير من النسوة للعروس ذهابها للحمام، عندما تحدث عن السيل الذي اجتاح حمص بقوله: إنه «غرق بسببه خلق»، وممن مات فيه مائتا امرأة بحمام النائب (الأمير تنكز نائب الشام) كن مجتمعات على عروس أو عروسين[٦].

كما خرجت النساء بصحبة أولادهن للحمامات، فيلتقين بصديقاتهن من نساء الحي فيتبادلن الأحاديث والأخبار[٧]، كما أصبح الحمام مكاناً للمفاخرة والمباهاة بين النساء، فإذا ذهبت المرأة للحمام أحضرت معها أجمل ثيابها وما عندها من الحلي حتى ترتديه بعد الاستحمام أمام النساء الأخريات للتفاخر به[٨].

علاوة على ذهاب المرأة للحمام بعد الولادة وانتهاء فترة النفاس[٩] من أجل الاستحمام بعد فترة غياب، وقد وصف ابن الأخوة حين خروج الناس من الحمام بقوله: «والنساء في هذا

---

(١) العلبي: دمشق، ص١٢٣.

(٢) ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ج٦ ص٤٧.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٤ ـ ١٩٤٢، الجزء الثالث والرابع، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣، ج٤ ق١ ص١٥٦.

(٤) ايكوشار، ولوكور: حمامات دمشق، ج١ ص٤٦ ـ ٤٧.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤ ص١١٢.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٤ ق١ ص١٦٢، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق٢ ص٣٢.

(٧) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١ ص٨٧.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤ ص١٦٤.

(٩) Goitein, S.D, Amediterranean Society. 3 vol, University of California, 1967, vol3, p.p.343

wadod.org

المقام أشد تهالكاً من الرجال»[١].

مما دفع بعض الفقهاء إلى التحفظ بشأن ارتياد النساء الحمامات، فهذا ابن الحاج ينصح بعدم السماح للنساء بدخول الحمام «لما اشتمل عليه في هذا الزمان من المفاسد الدينية، والعوائد الرديئة»[٢].

ومن الممارسات الاجتماعية التي ظهرت في حمامات مدن بلاد الشام الاحتفالات التي تحدث في الحمامات بسبب شفاء بعض المرضى، مما يدفع أهله بالاحتفال قرب الحمام، حيث يدخل مريضهم الحمام، مما يؤكد شفاء المريض[٣]، علاوة على أن من أراد أن يختار عروساً، فما عليه إلا أن يرسل الخاطبة إلى الحمام فيتم التعرف على عروسه، لأن النساء يتقابلن في الحمام ويتعرفن على بعضهن[٤].

علاقة المحتسب بالحمام:

الحسبة من المؤسسات الإدارية الهامة في دولة المماليك، لذلك وضع سلاطين المماليك الحمامات تحت مراقبة المحتسب، وكان أول أعمال المحتسب هو مراقبة الحمام، والتأكد من صلاحية الحمام المعمارية، ومدى تنفيذ شروط البناء من إحكام النوافذ، وسمك الجدران واتساع الحمام، إلى جانب إضاءة الحمام من خلال فتحات زجاجية تسمح بدخول الضوء، علاوة على رصف أرضية الحمام بالرخام والفسيفساء، حتى يتم عكس البخار داخل الحمام بارداً وبذلك يصبح المكان لطيفاً[٥].

ومن وظائف المحتسب مراقبة نظافة الحمام، بحيث يأمر العاملون عليه بكنسه وغسله بالماء عدة مرات نظراً لكثرة زائريه، كما يأمر المحتسب بغسل خزان الماء من الأوساخ، وإشعال البخور داخل الحمام مما ينتج عنه رائحة طيبة[٦].

ويشترط المحتسب على العاملين بالحمام بعدم إدخال المرضى والمجذومين إلى داخل الحمامات، خوفاً من انتشار الأمراض بين رواد الحمام[٧]، إضافة إلى أن المحتسب يراقب الحمامي ويتأكد من وجود مآزر كافية في الحمام، بشروط أهمها أن تستر ما بين السرة

---

(١) ابن الحاج، مدخل الشرع الشريف على الشرائع، ٤ أجزاء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م، ج٢ ص١٧٦.

(٢) Goitein, Amediterranean, vol.3 p.343

(٣) بهنسي، عفيف: دمشق، المكتبة العمومية دمشق، ١٩٨١م، ص١٠١.

(٤) ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كمبرج، ١٩٣٧م، ص١٥٧.

(٥) ابن الحاج: مدخل الشرع، ج٢ ص١٧٥.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٤ ق٢ ص٥٨٦، بهنسي، دمشق، ص١٠١.

(٧) بهنسي: دمشق ص١٠١.

wadod.org

والركبة[١].

وقد اشترط المحتسب على العاملين بالحمام أن يفتح أبوابه وقت السحور، حتى يتسنى للجميع أن يغتسلوا قبل موعد الصلاة[٢]، كما ألزم المحتسب الناطور بحفظ ثياب رواد الحمام، وإن فقد منها شيء فعليه ضمانه، كما أمرهم أن يوفروا زيراً مليئاً بالماء ليشرب منه المستحمون[٣].

وقد ذكر الشيزري عن البلان أن يكون رشيقاً بصيراً بالحلاقة، وأدواته قاطعة، ويبتعد عن أكل الثوم والبصل، حتى لا يؤذي رواد الحمام، كما اشترط عليه المحتسب أن لا يحلق لصبي إلا بعد موافقة أحد أبويه[٤]، كما اشترط على المدلك أن يفرك يديه بقشور الرمان، لتصبح خشنة فتخرج الأوساخ من أجسام المستحمين، وبذلك يتحقق الهدف من بناء هذه الحمامات[٥]، وبذلك يمكن القول: إن الحمامات لعبت دور هام في حياة سكان بلاد الشام في العصر المملوكي.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧ مجلدات، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠.

- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ/ ١٣٣٨م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، ١٩٣٧.

- ابن بسام، أحمد بن أحمد (ت٨٨٤هـ/ ١٤٧٤م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة دار المعارف، بغداد ١٩٦٨م.

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): المنهل الصافي

(١) المناوي، عبد الرؤوف، النزهة الزهية في أحكام أمر الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥٧ ـ ٦٠.

(٢) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٨٧ ـ ٨٨، ابن الأخوة، معالم القربة ص١٥٥.

(٣) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٨٨، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٥٦.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٨٨، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٥٦.

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٨٨، السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار، أبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٣٥.

wadod.org

والمستوفي بعد الوافي، ج١+٢، تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءاً، الأجزاء من ١ ـ ١٢ مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

ـ ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن العبدري (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م): مدخل الشرع الشريف على الشرائع، ٤ أجزاء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢.

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨ هـ/١٤٠٦م): المقدمة، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ. ابن الشحنة، أبو الفضل محمد (ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م): الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤.

ـ ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق١، تحقيق دومينيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٣. قسم تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سامي الدهان، ١٩٥٦.

ـ ابن طولون، محمد الصالحي الدمشقي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تاريخ مصر والشام، قسمان، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٢.

ـ ابن عبد الهادي، جمال الدين يوسف (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م): رسائل دمشقية، حققها وقدم لها صلاح محمد. الخيمي، الطبعة الأولى، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

ـ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

ـ ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزءاً، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ١٥ مجلد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ـ الإدريسي، أبو عبد الله محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٩ أجزاء، معهد الدراسات الشرقية، نابولي، روما، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٧م.

ـ البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٧٩٢م): فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

wadod.org

- التطلي، بنيامين: الرحلة ما بين أعوام، (٥٦١ - ٥٩١هـ/ ١١٦٥ - ١١٩٣م) رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، الطبعة الأولى، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥.

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٤٨.

- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م). الوافي بالوفيات، ١٢ جزءاً، تحقيق هلموت ريتر، نشر دار فرانز شاينر بيفيسباون، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- العرضي، أبو الوفاء عمر (ت ١٠٧١ هـ/ ١٦٦٠م): معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، تحقيق عيسى سليمان أبو سليم، نشر مركز الوثائق والمخطوطات الأردنية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٢م.

- العليمي الحنبلي، قاضي القضاة أبو اليمن مجيد الدين (ت٩٢٨هـ/ ١٥٢١م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجلد ١ في ٢ جزء، نشر دار الجيل، بيروت، ١٩٨٣م.

- العيني، بدر الدين محمد (ت٨٨٥هـ/ ١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جزء يشمل على حوادث وتراجم من سنة (٦٤٨ - ٦٦٤هـ/ ١٢٥٠ - ١٢٦٥م)، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، الجزء الأول والثاني تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٤ - ١٩٤٢ والجزء الثالث والرابع، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠ - ١٩٧٣.

- المناوي، عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ/ ١٦٢١م): النزهة الزهية في أحكام أمر الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٨٧.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، ٥ مجلدات، نشر الدار صادر، بيروت، ١٩٧٩ - ١٩٨٦.

ثانياً: المراجع:

- إيكوشار، ولوكور، ميشيل ولكور، حمامات دمشق، تعريب ممدوح الزركلي، ونزيه الكواكبي، دمشق ١٩٨٥.

- بهنسي، عفيف: دمشق، المكتبة العمومية، دمشق ١٩٨١.

- الروسان، محمد سليمان: تطور الحمّام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في

wadod.org

ضوء المصادر والمستجدات من الاكتشافات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، أربد ١٩٨٩م.

- الريحاوي، عبد القادر: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٩م.

- سالم، السيد عبد العزيز: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م.

- عثمان، محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

- العسلي، كامل: معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، ١٩٨١م: من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢م.

- العلبي، أكرم حسن: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٢٠م)، الشركة العربية المتحدة للنشر، دمشق، ١٩٨٢م.

- غوانمة، يوسف: تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم الحضاري) وزارة الثقافة والشباب، عمان ١٩٧٩م: عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان، ١٩٧٩.

- الكواكبي، سعد زغلول: الحمامات في حلب عبر التاريخ والأدب، عاديات حلب، الكتاب الأول ١٩٧٥.

- كيال، منير: الحمامات الدمشقية، ١٩٨٦م.

- هيوار: الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس، ٢٠ مجلداً، مطابع دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

- اليعقوب، محمد: ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٦م.

- Goitein, S.D

Amediterranean Society, 3 Vol, University of Californiapress, Berkeley and Los Angeles, California 1967.

wadod.org

بحوث في تأريخ العراق

نِقَابة الأشراف في النجف

كامل سلمان الجبوري(*)

تمهيد:

النِقَابة:

بكسر الاسم، وبالفتح المصدر مثل الوِلاية والوَلاية. من المناصب السامية ولها الشأن الأول من الشرف بعد الخلافة، وكان الخلفاء يكتبون لنقباء الأشراف عهوداً تدل على جلالة قدرهم ورفعة منزلتهم، وكانوا كثيراً ما يعهدون إليهم إمارة الحاج وديوان المظالم، وما زالت الدول الإسلامية تحترم نقابة الأشراف في كل أدوار تأريخها حتى الدولة العثمانية، فإنها ما زالت محافظة على ذلك، ونقيب الأشراف فيها مقدم على سائر رجال الدولة حتى الصدر الأعظم وشيخ الإسلام[1] والنقابة على نوعين: خاصة وعامة.

فأما الخاصة فهو أن يقتصر النقيب بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حدّ. فلايكون العلم معتبراً في شروطها، ويلزمه في النقابة على أهله. وأما النقابة العامة فللنقيب الحق في أن ينظر في أمور الأشراف بخمسة أشياء:

أحدها: الحكم فيما بينهم فيما تنازعوا فيه.

الثاني: الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

الثالث: إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

الرابع: تزويج الأيامى اللائي لا يتعيّن أوليائهن، أو قد تعين فيعظلوهن.

الخامس: إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه، وفكّه إذا أفاق ورشد.

فيصير بهذه الخمسة عام النقابة، ويعتبر حينئذ في صحة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالماً

---

* صاحب المجلة ورئيس تحريرها.

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ١/ ١٤٥.

wadod.org

من أهل الاجتهاد، ليصح حكمه، وينفذ قضاؤه[١].

الأشراف:

وهم الطالبيون: أولاد أبي طالب بن عبد المطلب، أو العباسيون: أولاد العباس بن عبد المطلب، أو العلويون: أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من فاطمة الزهراء بنت رسول الله(ص). وقد جرت العادة أن الذي يتولى هذه الوظيفة يكون من رؤوس الأشراف، وأن يكون من أرباب الأقلام، ويكتب لنقيب الأشراف الأميري، ولايكتب له القضائي، ولو كان صاحب قلم[٢].

النَقيب:

بفتح النون، وكسر القاف، وسكون الياء آخر الحروف، وبعدها باء موحدة. وجمعها نقباء، والنقيب كالعريف على القوم المقدم عليهم، الذي يتعرف أخبارهم، وينقب عن أحوالهم، أي يفتش، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل ليلة العقبة كلّ واحد من الجماعة الذي بايعوه بها نقيباً على قومه وجماعته، ليأخذوا عليهم الإسلام، ويعرفوهم شرائطه، وكانوا اثني عشر نقيباً، كلهم من الأنصار، وكان عبادة بن الصامت منهم. وقيل: النقيب الرئيس الأكبر، وإنما قيل للنقيب نقيب، لأنّه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم[٣].

أمّا النقباء الأثنا عشر الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليهم وآله في العقبة الثانية فهم: سعد بن عبادة، وأسعد بن زرارة، وسعد بن ربيع، وسعد بن خيثمة، ومنذر بن عمر، وعبد الله بن رواحة، وبراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيهان، وأسيد بن حضير، وعبد الله بن عمرو بن حزام، وعبادة بن الصامت، ورافع بن مالك. ويتم ترشيح النقيب من إحدى جهات ثلاث:

إمّا من جهة الخليفة المستولي على كلّ الأمور.

وإمّا ممن فوض إليه تدبير الأمور كوزير التفويض، وأمير الاقليم.

وإمّا من نقيب عام الولاية استخلف نقيباً خاصاً للولاية، فإذا أراد المولى أنْ يولي على الطالبيين نقيباً أو على العباسيين نقيباً يختار منهم أجلّهم بيتاً، وأكثرهم فضلاً، وأجزلهم رأساً، فيولى عليهم لتجتمع فيه شروط الرئاسة والسياسة فيسرعون إلى طاعته برئاسته، وتستقيم أمورهم بسياسته. وتلزمه بتقليدها حقوق وواجبات[٤].

نقيب الأشراف:

لقب لمن يتولى نقابة السادة الطالبيين، أو العباسيين، أو نقابة القوّاد، فالنقيب على آل أبي

---

(١) الأحكام السلطانية ٩٣.

(٢) صبح الأعشى ١١/ ١٦٢ وقد ورد فيه كثير من العهود والتوقيعات الصادرة لهم وعنهم.

(٣) تاج العروس ١/ ٤٩٢.

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي ٩٢، الشرف المؤبد لال محمد ٤٧.

wadod.org

طالب هو المتكفل لحفظ أنسابهم بأن يكون عالماً بأنسابهم بطناً بعد بطن، ويلزمه حفظ شؤونهم، وجمع شملهم، والمحافظة على ذوي النسب في كل قطر أو مصر كيلا يختلط بهم غيرهم، وأن يعمل جريدة في أنسابهم، ليكون محكوماً في صحته، ويقال له: الديوان أو الجريدة، وعمل ذلك جماعة ممن نال النقابة وتسنمها، منهم: الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام الكاظم عليه السلام المتوفى سنة ٤٠٠هـ والد الشريفين الرضي والمرتضى، عمل في أيام نقابته ببغداد جريدة الأنساب جمع فيها أشرافها، وذكر بها أنسابهم، يقال لها: (جريدة بغداد).

وممن جمع جرائد شتى في عدة بلدان شيخ الشرف أبو حرب محمد بن محسن بن الحسن بن علي الدينوري الحسيني المتوفى سنة ٤٨٢هـ بغزنة، وكان نقيباً ببغداد، وسماه (جرائد الأنساب)، وقد ألف في هذا جماعة من النقباء ينسب كل منهم إلى بلده، فيقال (جريدة الري) لأبي العباس أحمد بن علي البطحاني الحسيني، و(جريدة طبرستان) لأبي طالب يحيى بن محمد الحسيني، و(جريدة أصفهان) لأبي الحسن علي بن أبي طالب الشجري الحسيني، ومحمد بن الحسن نقيب سمرقند الشجري الحسني، و(جريدة طرابلس) التي يروي عنها علي بن زيد البيهقي وغيرها[1].

واجبات النقيب وحقوقه:

وللنقيب واجبات وحقوق حددت باثني عشر حقاً:

أحدها: حفظ انسابهم من داخلٍ فيها وليس هو منها، أو خارج عنها وهو منها، فيلزمه حفظ الخارج منها، كما يلزمه حفظ الداخل فيها، ليكون النسب محفوظاً على صحته، معزواً إلى جهته.

الثاني: تمييز بطونهم، ومعرفة أنسابهم حتى لايخفى عليه منهم بنوات، ولايتداخل نسب في نسب، ويثبتهم في ديوانه على تمييز أنسابهم.

الثالث: معرفة من ولد منهم من ذكر وأنثى فيثبته، ومعرفة من مات منهم فيذكره، حتى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبته، ولا يدعى نسب الميت غيره إن لم يذكره.

الرابع: أن يأخذهم عن الآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم، لتكون حشمتهم في النفوس موفورة، وحرمة لرسول الله فيهم محفوظة.

الخامس: أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة، ويمنعهم عن المطالب الخبيثة، حتى لا يستقلّ منهم متبدل، ولايستظام منهم متذلل.

السادس: أن يكفّهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم عن انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصروه أغير، وللمنكر الذي أزالوه أنكر، حتى لاينطق بذمّهم إنسان، ولايشنأهم إنسان.

---

(١) موارد الإتحاف في نقباء الأشراف ١/ ٥.

wadod.org

السابع: أن يمنعهم عن التسلط على العامة، لشرفهم التشطط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض، ويبعثهم على المناكرة والبعد، ويندبهم إلى استعطاف القلوب، وتأليف النفوس، ليكون الميل إليهم أوفى، والقلوب لهم أصفى.

الثامن: أن يكون عوناً لهم في استيفاء الحقوق حتى لايضعفوا عنها، وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لايمنعوا منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين، فإنّ من عدل السير فيهم إنصافهم وانتصافهم.

التاسع: أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الذي لايختص به أحدهم حتى يقسمه إليهم بحسب ماأوجبه الله تعالى لهم.

العاشر: أن يمنع أياماهم أن يتزوجن إلاّ من الأكفاء لشرفهنّ على سائر النساء، صيانة لأنسابهن، وتعظيماً لحرمتهن أن يتزوجن غير الولاة، وينكحن غير الكفاة.

الحادي عشر: أن يقوّم ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حداً ولا ينهر به دماً، ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته ويغفر بعد الوعظ زلته.

الثاني عشر: مراعاة حقوقهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها، وإذا لم يرد إليه جبايتها، راعى الجباة لها فيما أخذوه، وراعى قسمتها إذا قسموه، وميّز المستحقين لها إذا خصت، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت، حتى لايخرج منهم مستحق، ولا يدخل فيها غير محق[١].

الأسباب الموجبة لتأسيس نقابة الطالبيين:

بعد أن بلغت سطوة الدولة العباسية في سائر الأقطار وأكثر الأمصار، ونظروا إلى شؤون الدولة، رأوا أنَّ مايوجب قلق دوام ملكهم وخراب سلطانهم وجود آل أبي طالب في ممالكهم، حيث وجدوا لهم النفوذ التام في النفوس، لقربهم إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فأراد آل العباس بن عبد المطلب أن يحدثوا مشكلة يعرقلوا بها خطاهم، ويوقفوا بها تقدمهم، فأحدثوا النقابة فيهم برئاسة شخص منهم يكون من أشهرهم بيتاً، وأفضلهم علماً، وأقبلهم في النفوس، ليؤلف مابينهم، ويحكم عليهم، ويقمع الفتن والثورات في داخل البلاد وخارجها، فالنقابة لاتكتسب صفتها الرسمية، مالم تصدر بها إرادة من خليفة الوقت، أو من يمثله، وعندما تسنم هذا المنصب من الطالبية ضعف مافي نفوسهم من القيام بحقهم، والطلب بثأرهم حتى صار بعضهم ينافس البعض لنيل هذا المنصب، حتى بلغ الأمر بالنقباء أن يعهد إليهم خلفاء بني العباس إمارة الحج، وديوان المظالم، فيكون النقيب ممثل الخليفة[٢].

وأول من أحدث النقابة على الطالبيين واستحسنها الخليفة العباسي المستعين بالله بن المعتصم بن الرشيد، وبقي الخلفاء بعده يولون أهمية عظمى للنقيب، وبقي ذلك مستمراً إلى

(١) الأحكام السلطانية ٨٢، الشرف المؤبد لآل محمد ٤٧.

(٢) موارد الإتحاف ١/ ٥ ـ ٦.

wadod.org

عهد الحكومة العثمانية، والحكومة الإيرانية، وكانتا تحافظان على ذلك المنصب إلى ان بقى النقيب يختار من الدولة ولايراعى فيه شيء سوى الاسم، وكان في بلاد فارس في عهد الصفوية يطلق على النقيب اسم صدر السادات، ويعين من قبل السلطان، وترجع إليه أمور السادات، وتكون جميع الموقوفات تحت نظره وتصرفه.

وكان أول من سعى إلى تأسيس نقابة الطالبيين هو السيد الجليل المحدث الكوفي حسين بن أحمد بن محمد بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن الأمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الذي ورد العراق من المدينة عام ٢٥١ ودخل على الخليفة العباسي المستعين بالله بن المعتصم بن الرشيد وطالبه بتعيين رجل من الطالبيين يتولى إدارة شؤونهم، ويدفع غائلة الأتراك عنهم، فعينه الخليفة لهذه المهمة بعد مشاورة الطالبيين واختيارهم إياه، وهو الذي ألف كتاباً في أنساب الطالبين سماه «الغصون في آل ياسين»، ثم تولى أحفاده نقابة الطالبين في كثير من الأقطار الإسلامية عامة والبلدان العراقية خاصة. وكانت النقابة هذه تنتقل من بيت علوي إلى بيت علوي آخر، حسب الكفاءات العلمية والنفوذ الشخصي.

وكان للنقيب سجل خاص يدون فيه أسماء العلويين وأحفادهم فضلاً عما كان يتمتع به النقيب من نفوذ، وكان الآمر والناهي والقاضي الحاكم بين العلويين[١].

وذكر القاسمي أنه طلب من المستعين بالله تولية رجل من الطالبيين منهم يتولى شؤونهم، ويدفع عنهم سلطة الأتراك، فعين المستعين الحسين بن أحمد المذكور بعد مشاورة الطالبيين واختيارهم، فالنقيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد توفي سنة ستين ومائتين[٢].

وحفلت كتب التاريخ والأدب بذكر عدد كبير من النقباء وأخبارهم، فقد جاء في (صبح الأعشى):

«الصنف الثاني من أرباب الوظائف الدينية من لامجلس له بالحضرة السلطانية منها: ماهو مختص بشخص واحد، فمنها نقابة الأشراف، وهي وظيفة شريفة ومرتبة نفيسة موضوعها التحدث على ولد علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله(ص) وهم المراد بالأشراف في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم، والأخذ على يد المتعدي منهم، ونحو ذلك. وكان يعبر عنها في زمن الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبيين»[٣].

وجاء في رحلة ابن بطوطة في وصفه لمشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف: «ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق، ومكانه عنده مكين، ومنزلته رفيعة وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره، وله الأعلام والطبال، وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً، وإليه حكم هذه المدينة، ولاوالي بها سواه، ولامغرم فيها للسلطان، ولالغيره، وكان النقيب في عهد

(١) موارد الإتحاف ٦/١ عن عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.
(٢) شرف الأسباط ص٧.
(٣) صبح الأعشى ٤٧/٤.

wadod.org

دخولي إليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى»[١].

وجاء في كتاب أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء: «ونقابة الأشراف وظيفة هامة في العالم الإسلامي، وقد كان لها تأثير كبير في البيوتات الشريفة وإصلاح أحوالها، وتدبير شؤونها، مما أدى إلى إجلال الناس لهم، واحترامهم وتوقيرهم ووضعهم بالمكان الذي يليق بشرف نسبهم، وكرم محتدهم، فكان ذلك اقتداء الناس بهم واقتفاء لأثرهم وطاعتهم لهم، ونفوذ كلمتهم فيهم، وكانوا يأتمرون بأوامرهم، ويذعنون لرغائبهم إلى غير ذلك مما يعود بعظيم الفائدة على هذا المجتمع»[٢].

وذكر الشيخ محمد السماوي في أرجوزته نقابة الأشراف ومن وليها منهم قائلاً:

نقـــابـــةُ الأشـــراف مِـــن آل علـــي ... ولايـــةٌ عليهـــم ممـــن ولـــي
يكتـــبُ مَـــنْ قـــدْ صـــحَّ فـــي الطّـــروسِ ... ويصـــرفُ الـــوقـــفَ علـــى الـــرؤوسِ
فـــوارداتُهـــا مـــن الـــوقـــفِ تفـــي ... إذ كثـــرتْ جـــداً بكـــل طـــرفِ
نقيبهـــا الأكبـــرُ فـــي بغـــدادِ ... وفـــرعُـــهُ فـــي ســـائـــرِ البـــلادِ
فَمَـــنْ ببغـــدادَ نقيـــبُ النُّقبـــا ... ومَـــنْ عَـــدَاهُ بـــالنقيـــبِ لُقِّبـــا
ورُتِّـــبَ النقيـــبُ فـــي عهـــدِ المُعِـــز ... ابـــن بـــويـــه الألمعـــي المنتهـــز
حيـــنَ رأَى الكثـــرةَ فـــي الأشـــرافِ ... وخـــافَ الاختـــلافَ فـــي الأطـــرافِ
ونظـــر الاعـــزازَ والتـــأليفـــا ... أحســـن مـــايُحفـــهُ الشَّـــريفـــا
فجعـــلَ النقيـــبَ فيمـــا قـــدْ رُوي ... أب الشـــريفيـــنِ الحسيـــنَ المـــوســـويْ

ثم ذكر نقباء الكوفة والغري الشريف[٣]، كما سيأتي في محله:

الغـري أو النجف:

الغري: نصب يذبح عليه العتائر، والغريان: طربالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب عليه السلام[٤].

النجف: بالتحريك، وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٥].

ويقال أيضاً لهذا الموضع (المشهد) نسبة إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد اشتهر هذا الاسم على مشهده دون سائر المشاهد المشرفة، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها فأكثرت.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١١٠.
(٢) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/ ٢٨٦ مطبوع بحلب سنة ١٣٤٣هـ.
(٣) عنوان الشرف في وشي النجف ١/ ٧٨.
(٤) معجم البلدان مادة (الغري).
(٥) ن.م مادة (النجف).

wadod.org

ولما قطن النجف كثير من العلويين، ونمت فيها أرومتهم، ووشجت بها أصولهم، واشتبكت فروعهم حتى إنّه لم يأت القرن الرابع الهجري إلا وفي النجف ألفا علوي[١]. أخذ الخلفاء والسلاطين حتى زمن العثمانيين يجعلون عليهم نقيباً منهم لصيانتهم من أن يتولى عليهم من لايكافئهم في النسب، ولايساويهم في الشرف.

النقيب في النجف هو المتصرف في البلاد وأمره مطلق في إدارة شؤونها ليس له معارض. وقد أشار إلى ذلك الرحالة ابن بطوطة عند دخوله النجف فقال: «وليس بهذه المدينة مغرم ولامكّاسٍ ولاوالٍ، وإنما يحكم عليهم نقيب الأشراف، ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين، ومنزلته رفيعة وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره، وله الأعلام والأطبال، وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً، وإليه حكم هذه المدينة ولاوالي بها سواه، ولامغرم فيها للسلطان ولا لغيره»[٢].

وكانت النقابة منحصرة في بيوت معروفة بالشرف، وموسومة بعلو النسب، تتوارثها الأبناء عن الآباء كبيت (المختار)، وبيت (الاشتر) وبيت (كتيلة) وبيت (عبد الحميد) الحسينيين، و(آل الفقيه) و(آل طاووس) و(آل الصوفي) و(آل جماز) و(آل الآوي) و(آل كمونة) و(السادة النقباء) و(آل الرفيعي) وهذه البيوت هي بيوت النقابة في النجف من أقدم عصورها حتى انتهاءها.

وقد ذكر الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي في أرجوزته قائلاً:

---

(١) هذا العدد كثير بالنسبة إلى الإحصائيات الواقعة للعلويين قبل هذا العصر (قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية في النسب: أحصيت أسماء العلوية في المدينة وسائر الأمصار سنة ٢٢٧ وكانوا ١٣٧٠ رجلاً، ومن الأناث ١٣٧٠: من ولد الحسين(ع) ٣١٠ من الذكور ومن الإناث ٣١٤، ومن ولد الحسين(ع) ٤٤٠ رجلاً ومن الإناث ٤٣٠، ومن ولد محمد بن الحنفية من الذكور ٤٥ رجلاً ومن الإناث٣٥، ومن ولد العباس بن علي(ع) ١٤٠ رجلاً ومن الإناث ٢٣٠، ومن ولد عمر الأطرف ٩٠، ومن الإناث ١١٦، ومن ولد جعفر الطيار ٢٣٠ رجلاً، ومن الإناث ١٤٠. وكان عدد بني العباس في ذلك الوقت ثلاثة وثلاثين ألف رجل وإمرأة.

وهذا العدد الذي ذكره مجموعاً يزيد على مافصله لكل واحد من أولاد الأمير (ع)!!

وفي مداخلة للشيخ جعفر محبوبة مؤلف ماضي النجف وحاضرها يقول فيها: «لما أفضت الخلافة إلى بني العباس كانوا جميعاً ثلاثة وأربعين رجلاً، ولما دالت السلطة إليهم وتقمصوا الخلافة، لم تمر عليهم إلاّ أعوام يسيرة حتى بلغوا ذلك المبلغ، ولما ارتكبوا المآثم وانتهكوا المحارم بقتلهم الذرية العلوية والعترة الأحمدية، سلبهم الله الملك والسلطان، ورفع عنهم البركة في النسل وألصق بهم الذل والصغار حتى لو أنّ أحداً كان يمت بالنسب إليهم والالتحاق بأصلهم لم يقدر أن يتظاهر بذلك خوفاً من أن يلحقه عارهم وصغارهم» ١/ ٢٨٢.

ويقال ـ كما في المرشد السنة الأولى ـ أن السلطان عبد الحميد المخلوع سنة ١٣٢٧هـ عمل في أيامه إحصائية دقيقة عن عدد الموجودين من الذرية النبوية في مختلف الممالك الإسلامية، فأحصوا له تسعة عشر مليوناً بالتقريب، وهذا عدد لايستهان به، وجمع لايرى الذلة عن قلة.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١/ ١١٠.

wadod.org

وكانتْ الكوفة فيما قدْ سلفْ نقيبُها لأهلِها وللنجفْ
وانتصبَ النقيبُ في الغريّ بعهدِ عضدِ الدَّولة السريّ
ففوضتْ لهُ مفاتيحُ الحرمْ وكانَ يعطيها لمنْ لهُ احترمْ
ثمَّ يسمى خازناً وسادنا إذ يضمن الأعيانَ والمعادنا
والنقبا كُثْرٌ بذَاكَ العصرِ يضيقُ عنهمُ نطاقُ الحَصْرِ
لكنني أذكرُ منهم عُصَبا كانتْ بنوهُمُ في الغرىّ نُقبا
فمنهمُ الصِّيدُ بنو المختارِ وسادَ عدنانُ أبو نزارِ
ومنهمُ بنو عبيدِ اللهِ الاشتريونَ عظيمو الجاهِ
ومنهم بنو كتيلة الألى علوا بزيدٍ شيخِهمْ أوجَ العُلا
ومنهمُ بنو أسامةَ التقي وشيخُهم عبدُ الحميدِ المرتقي
ومنهمُ بنو عليٍّ الصوفيْ والمقتدى بالنسبِ الموصوفِ
ومنهم بنو الفقيهِ الفخريْ كهبةِ اللهِ قتيلِ الغدرِ
ومنهمُ أيضاً بنو جمّاز مقاولِ العراقِ والحجازِ
ومنهمُ السادةُ آلُ الآويْ واشتهروا بالعلمِ والفتاويْ
ومنهمُ الأمجادُ آل كمكمةْ فكمْ لهمْ مِنْ كرمٍ ومكرُمَةْ
ومنهم الصِّيدُ بنو العميدِ ذوو الحجى والمنهج السديد
ومنهمُ آلُ رفيعِ الدينِ وهمْ لهذا العصرِ في التعيينِ[1]

فالنقيب كان يقوم بوظيفته في كل العصور السابقة مع توليه أمرة البلد والمرقد الشريف العلوي، وكان بيده تعيين السادن للروضة المطهرة، حتى جاء عصر الملالي وتوليتهم سدانة الحرم الشريف وحكم البلد، فضعفت تولية النقباء، وبقي النقيب مجرداً من كل شيء سوى الاسم، قال الشيخ محمد السماوي:

لكنَّ هذا المعشرَ النجيبا لاينتجي في أمره نقيبا
بل يجعل الأمرَ معَ السّدانهْ لنفسِهِ ولا يرى إذعانَهْ
لأنّ عقدَ النُّقباءِ انحلاّ في ذلك العصر الذي تولّى
وبقيَ اللفظُ من النّقابَهْ بغيرِ معنىً يكتسي ثيابَهْ
فكمْ نقيبٍ نالَ تلكَ اللفظةْ ولمْ يجدْ إلا بتلكَ حظَّهْ
كالمصطفى وكابنِهِ العبَّاسِ وكمرادٍ ذي الندى والباسِ[2]

(١) عنوان الشرف في وشي النجف ١/٧٨.
(٢) م.ن ١/٧٨.

wadod.org

نقباء الأشراف:

وسنأتي إلى ذكر من تولى نقابة الأشراف في النجف بما وافتنا به المراجع مترجمين حالهم وسيرتهم، وفترة توليهم لمنصب النقابة، وقد رتبته حسب تسلسل فترة التولية.

١ـ أبو القاسم الحسن بن أبي الطيب يحيى بن أبي الحسن بن أبي علي محمد الزاهد الصوفي[١] **بن أبي الحسين يحيى بن أبي عيسى عبد الله بن محمد بن عمر الأطرف بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:** كان نقيب المشهد الشريف الغروي. وكان ابن عم المترجم أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن محمد بن زيد الملقب سيدكا بن الحسن بن محمد الصوفي، كان جسيماً وسيماً ذا لسن وفضل، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فولي العدالة من قبل ابن معروف القاضي، فأجاب إلى ذلك أياماً، ثم استعفى، وكان زيدياً مجرداً تنسب إليه غفلة، وهجاه أبو الحسن العصفري هجاءه البصريين بالمقطوعة الشهيرة وهي:

صدَّقتُ بالجبر وانقضى خبري ... وكنتُ شيخاً أقولُ بالقَدَرِ
مذ قيلَ قاضي القضاةِ قدْ هجرَ الحزمَ وامضى شهادةَ العمري
فقلتُ لاتعجبوا ففي غدِنا ... تردُّ أحكامُنا إلى البَقَرِ

وكان جدّ المترجم أبو علي محمد الصوفي الزاهد قتله هارون الرشيد محبوساً، ودفن بمقابر مسجد السهلة، وهو ابن أبي الحسين يحيى الصالح الورع الذي قتله الرشيد محبوساً (أيضاً) وقبره بالكوفة في مسجد السهلة[٢].

٢ـ يحيى الطحان بن أبي القاسم الحسن بن أبي الطيب يحيى: تقدم باقي نسبه في ترجمة والده، نقيب المشهد من بني الصوفي الكوفيين، وهم غير بني الصوفي من ولد جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام. ويسكن بدرب الزرقاء بالكوفة وله بها عقب[٣].

٣ـ أبو الحسن أحمد بن الحسن المتهجد بن الحسين الأحول بن عيسى بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: السيد الشريف النقيب بمشهد الكوفة (أي مشهد علي بن أبي طالب) وأخوه أبو عبد الله محمد بن الحسن الصالح

---

(١) آل الصوفي: من البيوت العلوية الشريفة الحسينية، كان لهم صيت طائر، وسمعة سائرة، منهم أبو الحسن علي بن محمد العمري النسابة الذي انتهى إليه علم النسب وصنف كتاب المبسوط والمجدي والشافي والمشجر، وكان يسكن في البصرة ثم انتقل منها إلى الموصل سنة ٤٢٣ وتزوج هناك، وكان لهم عقب في الكوفة يعرفون ببني الصوفي إلى سنة ٨٠٠ وهم أولاد محمد الصوفي بن يحيى الصالح بن عبد الله بن محمد بن عمر الأطرف بن أمير المؤمنين(ع) وتشعبوا عدة فصائل وهم أهل ثروة وأملاك كثيرة في الكوفة ونواحيها، تولى جماعة منهم نقابة المشهد الغروي.

(٢) عمدة الطالب ٣٦٨، موارد الإتحاف في نقباء الأشراف ٢/ ٣٤ ـ ٣٥، ماضي النجف ١/ ٢٩٩.

(٣) عمدة الطالب ٣٦٨، المشجر الكشاف ٣٢١، موارد الإتحاف ٢/ ٣٤، ماضي النجف ١/ ٢٩٩.

wadod.org

الناسك العالم[١].

٤ـ **أبو الحسين، زيد بن أبي الفتح ناصر بن زيد الأسود بن الحسين بن علي كتيلة**[٢]: ابن يحيى بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: كان عالماً فاضلاً حافظاً محدثاً ولي نقابة المشهد الشريف الغروي.

قال ابن مهنا العبيد لي في التذكرة: كان نقيب المشهد والكوفة يحفظ القرآن[٣].

وذكر ملا عبد الله أفندي في رياض العلماء: الشريف النقيب، من مشايخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن شهريار الخازن ـ الذي كان صهر الشيخ الطوسي على ابنته ـ وهو يروي عن الشريف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن العلوي صاحب التعازي، ـ كما يظهر من أسانيد بشارة المصطفى لشيعة المرتضى لعماد الدين محمد بن علي الطبري ـ وفي مقدمة كتاب التعازي يرويه ابن شهريار الخازن عن المترجم قراءة عليه بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٤٤٣[٤].

وصفه ابن عنبه في العمدة[٥]، والعميدي في المشجر الكشاف[٦]، إنه نقيب المشهد وأعقب من رجلين: أبي الحسين محمد وأبي الفتح ناصر ولهما عقب منهم نقباء في المشهد الغروي.

وكان له بيت في النجف يعرفون ببني حميد، وهم أولاد عبد الحميد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسين محمد بن النقيب أبي الحسين زيد هذا[٧]، وفي بحر الأنساب[٨] ساق عقباً لمحمد بن النقيب زيد على غير هذه الصورة[٩].

٥ـ **أبو الفتح، ناصر بن أبي الحسين زيد بن أبي الفتح ناصر الحسيني**: تقدم باقي نسبه في ترجمة والده، ولي نقابة المشهد الغروي بعد والده، وعقبه بالكوفة يعرفون ببني كتيلة أعقب من ثلاثة رجال: أبي محمد عبد الله، وأبي القاسم عبيد الله مجد الشرف، وأبي طالب هبة الله التقي، وكان أبو طالب هبة الله فقيهاً خيّراً إمامياً[١٠].

---

(١) الفخري في أنساب الطالبيين ـ مخ ـ، موارد الإتحاف ٢/ ٣٩.

(٢) يقال لبنيه (آل كتيلة) وهم طائفة من السادة الحسينية طار صيتهم، واشتهر أمرهم، تولوا نقابة النجف مدة طويلة، وهم سادة عظماء، منهم نقباء ورؤساء ونسابون وفضلاء وزهاد، قديمهم وحديثهم، وهم بالكوفة والغري.

(٣) التذكرة في أنساب الطالبيين ـ مخ ـ.

(٤) رياض العلماء ٢/ ٣٦٤.

(٥) عمدة الطالب ٢٦٧.

(٦) المشجر الكشاف ١٠١.

(٧) عمدة الطالب ٢٤٢.

(٨) بحر الأنساب.

(٩) موارد الإتحاف ٢/ ٣٥، ماضي النجف ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(١٠) موارد الإتحاف ٢/ ٣٥ ـ ٣٦، ماضي النجف ١/ ٢٩١.

wadod.org

٦ـ **أبو الحسين، زيد بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين الأكبر بن زيد بن جعفر الثالث بن عبد الله** رأس المدري بن جعفر الثاني بن عبد الله بن جعفر بن محمد ـ المعروف بابن الحنفية ـ بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: قال عنه أبو الحسن العمري في المجدي: الشريف الفاضل الإخباري نقيب المشهد على ساكنيه السلام، صديق والدي. مات وله ولدان[١].

كانت ولادته بالبصرة، ثم سكن الكوفة، وذهب إلى بغداد سنة ٤٣١، وعاد إلى الكوفة ومات بها سنة ٤٤٨[٢].

٧ـ **علي بن محمد بن محمد نقيب مقابر قريش بن المحسن بن يحيى الصوفي بن جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام**: يكنى أبا طالب، نقيب المشهد بالعراق، وكان شيخاً معمَّراً. له في النسب تعدد.

ولد سنة ٤٠٣ وتوفي سنة ٤٩٩، روى عنه السلفي عن ابن المهدي[٣].

٨ـ **عز الدين، أبو نزار، عدنان بن أبي الفضائل** عبد الله بن أبي علي عمر المختار بن أبي مسلم بن أبي علي محمد بن أبي الحسن محمد الأشتر[٤] بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: كان رجلاً شريفاً تهابه الأعيان والأشراف، وعُمِّر عمراً طويلاً وكان معاصراً لأبي عبد الله التقي بن أسامة والد النقيب عبد الحميد المتوفى سنة ٥٩٧. رأمه بنت الشريف الجليل أبي علي بن عمر بن يحيى بن

---

(١) المجدي ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٤٥١، موارد الإتحاف ٢/ ٣٥.

(٣) ماضي النجف ١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٤) آل الاشتر: طائفة من السادة الحسينية لهم قدم ثابت في الرئاسة ونسب عريق في السيادة. ملكوا زمام الأمور في العصور المتقدمة مجدهم تالد وصيتهم خالد. هم أولاد الأمير أبي الحسن محمد الأشتر (المتوفى سنة ٣٥٠ وقيل ٣٧٣) بن عبيد الله الثالث. ويلقب بالاشتر لضربة كانت في وجهه ضربه بها غلام الفدان الزيدي، وقد مدحه أبو الطيب المتنبي بالقصيدة التي يقول في أولها:

أهـلاً بـدار سبـاك أغيـدُهـا ... أبعـدُ مـابـانَ عنـكَ خُـرَّدُهـا

إلى أن قال يذكر الضربة:

يـاليـت بـي ضـربـةً أتيـحَ لهـا ... كمـا أتيحـت لـه محمـدُهـا

أثـر فيهـا وفـي الحـديـد ومـا ... أثـر فـي وجهـه مهنـدهـا

فـاغتبطـت إذ رأت تـزينهـا ... بمثلـه والجـراح تحسـدهـا

وأيقـن النـاس أن زارعَهـا ... بـالمكـر فـي قلبـه سيحصـدُهـا

فأعقب أبو الحسن وأكثر، وكان له نيف وعشرون ولداً تقدموا بالكوفة، وملكوا حتى قال الناس (السماء لله والأرض لبني عبيد الله) وأعقب من أولاده ثمانية وكل واحد منهم صار جد طائفة، ترددت نقابة الكوفة والمشهد في أيدي هذه الطائفة مدة من الزمن.

wadod.org

عمر بن يحيى[١] تولى نقابة المشهد الغروي.

وذكر صاحب نسمة السحر في ترجمة أبي الفرج محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب الشاعر المشهور بسبط ابن التعاويذي أن له أبيات كتبها إلى ابن المختار العلوي نقيب مشهد الكوفة فيها التصريح بتشيعه وأنه من الإمامية[٢]، قال ابن السمعاني: سألته عن مولده فقال سنة ست وسبعين وأربعمائة بالكرخ وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

وقال ابن الفوطي: قرأت بخطه له:

إنْ تغترزْ بأخٍ يخُنْكَ وإنْ تَشِمْ ... برقاً يضيءُ وإنْ تَقُلْ لمْ يَقبلِ

فاقنعْ برزقِكَ واطَّرِحْ هذا الورَى ... فلعلَّ حظكَ ليلُهُ أنْ ينجلِي[٣]

كان قد سافر الكثير، رأيت بخطه أبياتاً كتبها لبعض الأصحاب في شرح حاله يقول فيها:

ولستُ إذا ماسرَّني الدهرُ ضاحكاً ... ولاخاشعاً ماعشتُ مِنْ حادثِ الدَّهرِ

ولاجاعلاً عِرضِي لمالي وقايةً ... ولكنْ أَقِي عِرضِي فيحرزُهُ وَفْرِيْ

أعفُّ لدى عُسْري وأُبْدِي تجمُّلاً ... ولاخيرَ فيمنْ لايعفُّ لدى العُسْرِ

وإني لاستحيي إذا كنتُ مُعْسِرا ... صديقي وإخواني بأَنْ يعلموا فَقْري

وأَقطعُ إخواني وماحالَ عهدُهُمْ ... حياءاً وإعراضاً ومابيَ من كِبْرِ

فمنْ يفتقرْ يعلمْ مكانَ صديقِهِ ... ومَنْ يَحْيَ لايعدم بلاءً مِنْ الدهرِ

وذكر ابن الفوطي ـ كما في تلخيصه ـ رجلاً آخر اسمه أبو نزار[٤] عدنان عز الدين بن عبد الله بن المعمر بن عدنان بن المختار الكوفي العلويّ، وهو من أحفاد ولد المترجم قال: ذكره شيخنا تاج الدين بن أنجب في تاريخه وقال: رتب عز الدين نقيباً.

أعقب من رجلين: عز الدين المعمر، وعميد الدين أبي جعفر محمد نقيب الكوفة[٥].

والمترجم من آل المختار وهم سادة أجلة نال جماعة منهم نقابة المشهد الغروي والحائر الشريف والكوفة ومقابر قريش[٦].

٩ـ شمس الدين أبو القاسم، علي ناظر الكوفة ابن عميد الدين أبي جعفر ابن النقيب أبي نزار عدنان ابن أبي الفضائل عبد الله بن أبي علي عمر المختار المذكور:

كان سيداً كاملاً أديباً شاعراً ماهراً نصّب نقيباً بالكوفة والنجف.

قال ابن أنجب في كتابه الدر الثمين في أسماء المصنفين: «حضرت داره بالكوفة، فأحسن

---

(١) المشجر الكشاف ١٢٨، عمدة الطالب ٣٢٣.

(٢) نسمة السحر ٣/ ١٦٦.

(٣) مجمع الآداب ١/ ٢٥٠.

(٤) م.ن ط إيران ١/ ٢٤٩.

(٥) عمدة الطالب ٣٢٣.

(٦) انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٣٩/ ٢٠٠، ماضي النجف ١/ ٢٨٥ موارد الإتحاف ٤٢.

wadod.org

ضيافتي، وناولني ديوان شعره بخطه، وكان قد جمع فضلاء العلويين الحسينيين من أهل الكوفة، فلما عرف الناصر فضله استحضره إلى بغداد، لتقليده نقابة الطالبيين، فحضر إلى بغداد، فكتب ضراعة (عريضة) يسأل فيها ذلك، فأجيب سؤله، وكتب تقليده وأحضرت الخلع إلى دار الوزير فحضر في الليلة التي يريدون أن يخلعوا عليه في صبيحتها دار زعيم الدين أستاذ الدار ابن الضحاك، فوقع غيث كثير، فركب في الليل متوجهاً إلى داره بظاهر باب المراتب، فسقط من دابته، فانكسرت رجله، فحمل في محفة إلى داره، فلما أنهيت حاله تقرّر أن يولّى أخوه فخر الدين الأطروش فغيّر الاسم في التقليد، وخلع على فخر الدين خلع النقابة»[١].

حبس شمس الدين بالكوفة بأمر الناصر العباسي، وكان عم أمه صفي الدين الفقيه محمد بن معد في تلك الأيام ذا مكانة سامية ومنزلة رفيعة عند الناصر ووزيره القمي، فكتب شمس الدين إليه يستنجده ويسأله التوصل في الإفراج عنه قصيدة ـ منها:

يـاقـادريـنَ علـى الإحسـانِ مـالكـمُ ... مـن غيـر جـرم عَـدَتنـا منكـمُ النّعـمُ
مـالـي أذُادُ كمـا ذِيـدتْ مُحَـلأةٌ ... عـنْ وردِهـا ولَـدَيكـم مـوردٌ شَبِـمُ

كان مولده سنة ٥٣٦[٢] وكان حياً إلى سنة ٥٨٤[٣].

١٠ـ شمس الدين، أبو الفتح، محمد بن أبي طاهر محمد نقيب الموصل بن أبي البركات محمد نقيب الموصل بن أبي الحسين زيد بن أبي عبد الله أحمد بن أبي علي محمد بن محمد الأشتر بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: «سيد عالم كبير، يقرأ عليه العلوم نقيب المشهدين والكوفة، ولد بالموصل»[٤].

وقد ولي هذا الشريف أولاً نقابة دمشق، ثم ولي نقابة المشهدين الغروي والحائري والكوفة.

جاء في ذيل تاريخ دمشق: «ورد دمشق في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة» الأمير شمس الدين، ناصح الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن محمد النقيب من ناحية سيف الدين غازي بن أتابك، لأنه كان قد ندب رسولاً من الخلافة إلى سائر الولاة وطوائف التركمان لبعثهم على نصرة المسلمين، ومجاهدة المشركين، وكان ذلك السبب في خوف الافرنج من تواصل الإمداد إليهم. وهذا الشريف من بيت كبير في الشرف والفضل والأدب، وأخوه ضياء الدين نقيب الأشراف في الموصل مشهور بالعلم والأدب والفهم»[٥].

---

(١) غاية الاختصار ٩١.
(٢) ن.م.
(٣) فرحة الغرى ٨١. انظر ترجمته في: اعيان الشيعة ٨/٤٢، ماضي النجف ١/ ٢٨٧، موارد الإتحاف ٢/ ٤٣.
(٤) التذكرة في الأنساب المطهرة ـ مخ ـ.
(٥) ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى حمزة بن القلانسي/٣٠١. انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٢٩٠، موارد الإتحاف ٢/ ٣٩ ـ ٤٠.

wadod.org

١١ـ محمد بن المعمر بن أبي علي عمر بن هبة الدين أبي الفتح بن أبي الحسين زيد بن أبي الفتح ناصر المذكور: كان نقيب المشهد[١].

١٢ـ الحسن بن أبي الفتح ناصر بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن ناصر بن زيد الأسود: تزوج بابنة أبي عبد الله أبي سدرة، وصار أولاده يعرفون ببني السدرة[٢].

وكان الحسين سيداً جليلاً نقيباً في أرض النجف، وله من البنين خمسة عشر يعرفون بليوث الغابات لما ظهر منهم من الشجاعة والفراسة حتى أذعنت لهم فراعنة مصر، أكبرهم السيد علي القتيل، وفي (ر ح ط) ذكر للحسن هذا ولداً اسماه علياً، له ولد اسمه محمد، ولمحمد شرف الدين[٣].

وجاء في عمدة الطالب: وفي ولده العدد، وقد يقسم ولده عدة بطون ـ إلى أن قال: ومنهم أبو الفتح ناصر بن زيد الأسود، أعقب من رجلين: أبي الحسين زيد نقيب المشهد، وأبي علي أحمد، فأعقب أبو علي أحمد، أحمد بن أبي الفتوح محمد، وقيل هبة الله لاغيره يعرف ولده ببني أبي الفتوح، وانفصل منهم فخذ عرفوا ببني السدرة، وهم ولد أبي طالب محمد بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي الفتوح (محمد بن أحمد) تزوج بنت عبد الله ابن السدرة من ولد أبي الحسن محمد بن الحسين بن علي كتيلة فولده له أبا الفتح ناصراً (هو والد النقيب الحسن) فعرف عقبه ببني السدرة نسبة إلى جدهم لأمهم.

وفي الحصون المنيعة: السيد شريف الدين محمد نقيب الكوفة المعروف بابن السدرة، فإنه نازع أبا الحسين زيداً الأسود بن الحسين بن علي كتيلة، فضيق عليه وغلبه، وصار هو النقيب وسافر إلى المشهد الغروي في النجف، وأقام فيه ثماني وثلاثين سنة حتى توفي سنة ٣٠٨، وخلف من الذكور سبعة ومن الإناث خمساً، وكثروا وانتشروا واشتهروا ببني السدرة.

١٣ـ ناصر بن محمد بن أبي الغنائم المعمر بن عمر بن أبي طالب هبة الله بن أبي الفتح ناصر الحسيني: تقدم باقي نسبه، وهو النقيب بالمشهد الغروي[٤] وفي ولده النقابة.

١٤ـ علم الدين، أبو محمد، علي بن ناصر بن محمد بن أبي الغنائم المعمر الحسيني: تقدم باقي نسبه في ترجمة جده الأعلى كان نقيب المشهد الغروي، قاله العميدي في مشجره.

وقال ابن الفوطي: علم الدين، أبو محمد، علي الكوفي نائب النقابة يعرف بابن كتيلة من أعيان السادات العلويين رأيته، ولم أكتب عنه. أنشدني بعض الأصحاب قال أنشدني علم الدين:

أيـــا مَـــنْ قَـــدُّهُ ألـــفٌ ويـــامَـــنْ صُـــدْغُـــهُ لامُ

(١) ماضي النجف ١/ ٢٩١.
(٢) سبك الذهب في شبك النسب ـ خ ـ.
(٣) ماضي النجف ١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤.
(٤) عمدة الطالب ٢٧٢. انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/ ٣٦.

wadod.org

لقـــــدْ أكثـــــرتَ عُـــــذَّالـــــي ولـــــوْ أنصفـــــتَ مـــــا لامـــــوا[١]

له ولد فاضل أديب ذكره صاحب عمدة الطالب عند ذكر عقب أبي الفتح ناصر بن الحسين زيد النقيب، فقال: ومن عز الشرف أبي علي عمر بن أبي طالب هبة الله بن أبي الفتح ناصر، الشيخ السديد، الفاضل الكامل، مجد الدين، محمد بن النقيب علم الدين علي بن ناصر بن محمد بن المعمر بن أبي علي عمر المذكور. قرأت عليه طرفاً من كتاب الكافية الحاجبية، وكان فيها قيماً وشرحها لأستاذه الفاضل ركن الدين محمد الجرجاني، وكان للسيد مجد الدين أبنان:

أحدهما: علم الدين عبد الله سافر في حياة أبيه إلى بلاد الترك، إلى أن قال: وتوفي السيد عبد الله بكش من بلاد سمرقند.

والآخر: نظام الدين علي (كان بالمشهد الغروي) كان من وجوه الأشراف مقدماً. توفي عن ولدين: أبي طاهر أحمد، وأبي الحسين زيد، وهما بالمشهد الشريف الغروي.

وفي مشجرة النسب قال عند ذكر آل كتيلة: ومنهم الشيخ العالم الفاضل مجد الدين محمد كتيلة، كان يتعصب في النحو لمذهب الكوفيين، ويقوي أدلتهم، وكان (ره) سمح الأخلاق، لطيف الطباع، متقدماً قارب الثمانين، وابنه السيد نظام الدين علي وجيه مقدام مقدم، له عقب... إلى آخر ماقال[٢].

١٥ـ جلال الدين، أبو علي، عبد الحميد بن عبد الله التقي النسابة بن أسامة بن عدنان بن أسامة بن شمس الدين أحمد بن علي بن أبي طالب محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين النسابة بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام:

ولد في ليلة الثلاثاء ١٩ شوال ٥٢٢هـ.

كان جليل القدر، فاضلاً، نبيلاً، انتهى إليه علم النسب محققاً مكثراً مشجراً مليح الخط، عظيم الضبط، زكي صالح، قد أخذ في ضبط الأصول، وتحقيق الفروع، بخط عظيم. كان أخبارياً، جمّاعة للأنساب والأخبار، عالماً بالأدب والطب والنجوم.

جالس أبا أحمد عبد الله بن أحمد الخشاب اللغوي النحوي، وأخذ عنه علم العربية، وقال الشعر.

سافر في صباه إلى خراسان، وأقام بها خمس سنين، واشتغل هنال بالعلم، ومن هناك حصل له الهوس بعلم النسب، فلما قدم العراق تصدر في ديوان النسب، وجلس في موضع أبيه، وضبط الأنساب، وكتب المشجرات.

---

(١) تلخيص مجمع الآداب، ط جواد ١/ ٦٠٧.

(٢) عمدة الطالب ٢٤٣، ماضي النجف ١/ ٣٩٢، موارد الإتحاف ٢/ ٣٦.

wadod.org

يروي عن السيد الأجل فضل الله الراوندي.

وروى في النسب عن ابن كلبون العباسي النسابة، عن جعفر بن أبي هاشم بن أبي الحسن العمري، عن جده أبي الحسن علي بن أبي الغنائم العمري العلوي النسابة.

ويروى عنه السيد فخار بن معد الموسوي المتوفى سنة ٦٣٠هـ في كتابه (الحجة على الذاهب إلى إيمان أبي طالب) قراءة عليه سنة ٥٩٤هـ.

ويروى عنه محمد بن جعفر المشهدي في المزار الكبير قال: «أخبرني السيد الأجل العالم عبد الحميد التقي بن عبد الله بن أسامة العلوي الحسيني رضي الله عنه في ذي القعدة سنة ٥٨٠ قراءة عليه بحلة الجامعين».

أمه نفيسة بنت المختار، علوية عبيدلية.

قال أبن أنجب: ورد عبد الحميد النسابة إلى بغداد مراراً آخرها سنة ٥٩٧، فتوفي في شهر رمضان في السنة المذكورة، وحمل إلى مشهد علي عليه السلام، فدفن هناك[١].

من آثاره: كتاب أزهار الرياض المربعة في النسب.

١٦- أبو علي عبد الحميد بن فخار بن معد بن فخار بن معد بن أحمد بن محمد بن أبي الغنائم محمد بن الحسين الشيتي بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: كان عالماً فاضلاً نسابةً، وكان نقيب المشهد والكوفة[٢]. سمع أبا الحسن بن غبرة. مات سنة ٦١٩[٣]، له مصنفات عديدة، ومن أولاده: أبو القاسم علي بن عبد الحميد، علم الدين، العالم الفاضل، النسابة المعروف بابن عبد الحميد النسابة توفي سنة ٧١٩[٤].

١٧- أبو العباس بن أبي طاهر محمد بن أبي القاسم علي بن أبي طاهر محمد نقيب الموصل بن أبي البركات محمد نقيب الموصل بن أبي الحسين زيد بن أبي عبد الله أحمد نقيب الكوفة بن أبي علي محمد بن محمد الاشتر بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين عليه السلام[٥] الحسيني: تقدم باقي نسبه، كان نقيب المشهد والكوفة ويلقب بـ(غراب البين).

---

(١) وردت ترجمته في: غاية الاختصار ١١٥، الذريعة ١/ ٥٣٤، مستدرك الوسائل ٣/ ٢٣٥، روضات الجنات ٣/ ٤٧٩، معجم البلدان ٣/ ٢٩٥، منية الراغبين ٢٨٨ ـ ٢٨٩، ماضي النجف ١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، مصفى المقال ٢٢٤.

(٢) عمدة الطالب ٢١٦، المشجر الكشاف ٣٧.

(٣) شذرات الذهب.

(٤) تحفة الأزهار وزلال الأنهار ـ خ ـ. موارد الإتحاف ٢/ ٤٩.

(٥) التذكرة في الأنساب المطهرة ـ خ ـ. ماضي النجف ١/ ٢٩١، موارد الإتحاف ٢/ ٤٠.

wadod.org

١٨ـ جلال الدين، عبد الله بن المعمر بن عدنان بن عدنان بن المختار الحسيني: تقدم باقي نسبه العلوي الكوفي. كان عريق النسب، كبير القدر، أديباً فصيحاً، حفظ القرآن في نيّف وخمسين يوماً، وكان إذا حضر مجلساً بسط القول فيه، وأكثر من الحكايات والأشعار والأخبار والسير. ندب إلى صدرية المخزن، فاستعفى ولم يجب، وكان عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة، ولعب الحمام، وكان يفتي فيه ويُرجع إلى قوله، ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين عليه السلام، وأفتى بجواز ذلك، فتوجه الخليفة إلى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف، وكان هو النقيب في ذلك، ورتب كاتب شرائج الطيور الحمام، ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستعصم. وضبط أنسابهم في الدساتير، وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة تسع وأربعين وستمائة[١].

١٩ـ تاج الشرف، أبو القاسم، النفيس بن هبة الله بن معصوم بن أبي الطيب أحمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: نقيب المشهد العلوي وشيخه[٢].

وأمّا جده معصوم بن أبي الطيب، فكان سيداً جليل القدر، قال السيد ضامن بن شدقم في تحفة الأزهار: كنيته أبي الحسن كان في المشهد الغروي كبيراً جليلاً عظيماً ذا جاه وعز واحترام وسكينة ووقار، فرأى ذات ليلة في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول له يامعصوم قد ورد عليك هذه الليلة من بعلبك فقراء وفيهم رجل يقال له: طلايع بن رزّيك[٣] من أكبر محبينا، قل له اذهب فإنا قد ولّيناك مصر. فلما أصبح الصباح أمر السيد معصوم أن ينادي في القفل أين الملقب بالملك الصالح طلايع بن رزيك، فإن السيد معصوم يطلبه، فاجتمع به وقص عليه الرؤيا، فرحل إلى مصر وترقى حاله حتى بلغ مابلغ، وولي غنية بني حصيب من أعمال صعيد مصر، فلما قتل الظافر إسماعيل صاحب مصر التمس أهل القصير من طلايع الاستنجاد به على قتل الخليفة الظافر بالله عباس وابنه نصر وأسامة بن منقذ، فأجابهم لسؤالهم، فانهزموا عنه فدخل القاهرة وتولى الوزارة مستقلاً على جميع أمور الديوان في أيام الفائز بالله لتاسع عشر ربيع الأول سنة ٥٤٩، ولما مات الفايز، وتولى العاضد أبقاه على جميع حالاته، وتزوج العاضد بابنته، وأوقف طلايع على الحسينية اشراف المدينة بلقيس، وسبع قراريط وقيراطاً

---

(١) الحوادث الجامعة ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ماضي النجف ١/ ٢٨٧، موارد الإتحاف ٤٥.

(٢) المشجر الكشاف ٣٧.

(٣) طلائع بن رزيك، الملك الصالح (٤٩٥هـ ـ ٥٥٦هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨، دول الإسلام ٢/ ٥١، مرآة الزمان ٨/ ٢٣٧، خطط المقريزي ٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢، نسمة السحر ـ ٢/ ٢٥١ ـ ٢٦٥، الأعلام ط٢ ج٣/ ٣٣٩، عمدة الطالب ٢١٨.

wadod.org

على بني السيد معصوم، وكان يرسل للسادة الأشراف بالحرمين والمشاهد المشرفة أموالاً جزيلة وخيرات كثيرة غير مايحتاجون إليه من الملبوس حتى الألواح والأقلام للصبيان لتعليم القرآن المجيد، وكان عالماً فاضلاً مصنفاً له كتب عديدة منها: كتاب سماه «الاعتماد في رد أهل العناد»، وله ديوان شعر في مجلدين في كثير من الفنون غريب، ولد في التاسع عشر ربيع الأول سنة ٤٩٥ وقتل يوم ١٩ شهر رمضان سنة ٥٦٦ ومن شعره في مدح أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

بحبِّ عليٍّ أرتقي منكبَ العُلا ... وأسحبُ ذيلي فوقَ هامِ السَّحائبِ
إمامي الذي لمّا تيقظتُ باسمهِ ... غلبتُ بهِ مَنْ كانَ بالكثر غالبي

وله:

وفي الطائرِ المشويِّ أوفى دلالةٍ ... ولو استيقظوا مِنْ غفلةٍ وسُباتِ

وذكر في نسمة السحر من شعره قوله:

يا أمةً سلكتْ ظلالاً بيّناً ... حتى استوى إقرارها وجحودُها
قلتم ألا أنّ المعاصي لمْ تكنْ ... إلاّ بتقديرِ الإلهِ وجودُها
لو صحَّ ذا كانَ الإلهُ بزعمِكُم ... منعَ الشريعةَ أنْ تُقامَ حدودُها
حاشا وكلا أنْ يكونَ إلهُنا ... ينهى عَنِ الفحشاءِ ثمَّ يريدُها[1]

وللمترجم أبي القاسم تاج الشرف النفيس أخ اسمه معصوم جد آل معصوم بالحلة.

٢٠ـ **أبو الحسن، محمد بن علم الدين علي بن ناصر بن محمد بن أبي الغنائم المعمر الحسيني**: المتقدم ذكر والده، السيد الفاضل الكامل مجد الدين، كان نقيباً في المشهد الشريف الغروي، وهو الذي زور الخليفة المستعصم عندما جاء إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام مودّعاً والدته لذهابها إلى حج بيت الله الحرام سنة ٦٤١ وأنه فرق الأموال الجليلة عنده، وودع الخليفة والدته وعاد إلى بغداد[2].

والمستعصم: هو عبد الله أبو أحمد، آخر خلفاء بني العباس الذي قتله هولاكو في سنة ٦٥٦ عند فتحه بغداد.

وكان المترجم أبو الحسن محمد بن علم الدين عالماً فاضلاً، وله نجلان بالمشهد الغروي، وهما: نظام الدين أبو الحسن علي، وعلم الدين عبد الله النسابة.

أما أبو طاهر أحمد بن أبي الحسن محمد، فكان بالمشهد الشريف الغروي. قال ابن عنبة: قرأت عليه طرفاً من كتاب الكافية الحاجبية، وكان فيها قيماً وشرحها لأستاذه الفاضل ركن الدين

---

(١) نسمة السحر ٢/ ٢٥٢، انظر: خطط المقريزي ٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١، ديوانه ط بدوي ٤٦، ديوانه ط الأميني ٧٢.

(٢) الحوادث الجامعة ١٨٨، فرحة الغري ١٢٢.

wadod.org

محمد الجرجاني[١].

٢١ـ رضي الدين محمد بن فخر الدين محمد بن رضي الدين محمد بن زيد بن الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن الحسن التج بن أبي الحسن علي بن الحسين الرئيس النقيب بآبه بن علي بن محمد الحوري بن علي بن علي الحوري[٢] بن الحسن الأفطس[٣] بن علي الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام الحسيني الأفطسي الآوي[٤] النقيب: السيد العالم الفاضل الكبير الزاهد الورع القدوة[٥]، كان صديقاً للسيد رضي الدين علي بن طاووس (ره) ويعبر عنه كثيراً في كتبه بالأخ الصالح، وهو من العلماء وأصحاب المقامات العالية والكرامات الباهرة، روى عنه السيد علي بن طاووس في كتابه «مهج الدعوات» و«رسالة المواسعة والمضايقة» كرامات ومكاشفات، وروى عنه يوسف بن المطهر الحلي والد العلامة (ره)، وقال الشهيد (ره) في الذكرى مانصه: ومنها الاستخارة بالعدد ولم تكن هذه مشهورة في العصور الماضية قبل زمان السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد بن محمد الآوي الحسيني المجاور بالمشهد الغروي رضي الله عنه، وقد رويناها وجميع مروياته عن عدة من مشايخنا عن الشيخ الكبير جمال الدين بن المطهر عن والده عن السيد رضي الدين عن صاحب الأمر (عج)... إلخ، وروايته عن صاحب الأمر (عج) في الغيبة الكبرى منقبة عظيمة لاتحوم حولها فضيلة، توفي سنة ٦٥٤ في رابع صفر[٦] وهو من أجداد رضي الدين محمد المتقدم وفي طبقة الشهيد تاج الدين محمد.

قال النسابة النجفي محمد حسين كتابدار، خازن المكتبة المرتضوية في تعليقة على عمدة الطالب: كان السيد رضي الدين الآوي سيداً جليلاً عظيماً نقيباً في المشهد الشريف الغروي، صاحب ثروة وجاه وقدم، واسمه إلى الآن (سنة ١٠٩٥) مكتوب على الباب الذي هو على الرواق المقابل للباب الذي هو على الحرم الشريف، وتاريخ الباب على ماهو مكتوب سنة

---

(١) عمدة الطالب ٢٩١، انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/ ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الحوري قتله الرشيد وكان شاعراً فصيحاً وهو الذي تزوج بنت عمر العثمانية، وكانت من قبل تحت المهدي العباسي فأنكر موصى الهادي ذلك عليه وأمره بطلاقها فأبى وقال: ليس المهدي رسول الله(ص) حتى تحرم نساؤه ولاهو أشرف مني، فأمر موسى الهادي به فضرب حتى غشي عليه. (عمدة الطالب ص٣٠٦).

(٣) والأفطس هو صاحب القصة مع الإمام الصادق عليه السلام وأراد قتل الإمام وهو الذي أوصى الإمام(ع) ولده موسى(ع) عند وفاته أن يعطيه سبعين ديناراً. وقيل: إن الموصى له الحسن بن الحسن الأفطسي.

(٤) الآوي: نسبة إلى آوه بفتحتين قرية بين زنجان وهمدان كما في معجم البلدان. وفيه عند ذكر ساوة قال: مدينة حسنة بين الري وهمذان ـ ثم قال بعد كلام له ـ وبقربها مدينة يقال لها آوه فساوه سنية شافعية، وآوه أهلها شيعة إمامية وبينهما نحو فرسخين، وكانت بينهما عصبية إلى وقت قريب.

(٥) التذكرة في الأنساب لابن المهنا العبيدلي.

(٦) مستدرك الوسائل ٣/ ٤٤٤.

wadod.org

سبعمائة وشيء من العدد، ذهب عن بالي عدده[١].

فالمترجم كان متقدم زماناً على ابن عمه السيد تاج الدين الآوي الأفطسي.

وأما السيد رضي الدين علي بن طاووس فتوفي سنة ٦٦٤، قال الميرزا حسين النوري[٢] فيه: السيد الجليل صاحب المقامات العالية، والكرامات الباهرة، النقيب الصديق لعديله في الدرجات السامية، السيد رضي الدين علي بن طاووس ويعبر عنه كثيراً في كتبه بالأخ الصالح، وقال في رسالة (المواسعة والمضايقة): كنت قد توجهت أنا وأخي الصالح محمد بن محمد بن محمد القاضي الآوي ـ ضاعف الله سعادته وشرف خاتمه ـ من الحلة إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: وتجددت لي في تلك الزيارة مكاشفات جليلة وبشارات جميلة.

وذكر الميرزا النوري أيضاً في كتاب دار السلام: توفي السيد رضي الدين محمد الآوي ليلة الجمعة رابع صفر سنة أربع وخمسين وستمائة، روى عن أخيه الروحاني علي بن طاووس وعن والده فخر الدين محمد عن والده رضي الدين محمد عن والده زيد عن والده الداعي بن زيد بن علي وساق نسبه إلى الأعلى، ونقل صاحب المعالم في إجازته عن رضي الدين الآوي أن جده الداعي عُمِّر عمراً طويلاً[٣].

٢٢ـ نصير الدين، أبو طالب، الحسين بن علي نظام الدين بن محمد بن علي بن المعمر بن عمر بن هبة الله بن الناصر بن زيد بن ناصر بن زيد بن الحسين بن علي الملقب كتيلة بن يحيى:

وفي بحر الأنساب (ط) كناه أبا طاهر أحمد. كان بالمشهد الغروي الشريف[٤].

٢٣ـ علم الدين أبو محمد إسماعيل بن تاج الدين الحسن بن شمس الدين علي بن عميد الدين محمد بن عبد الله بن المختار الحسيني: ولي نقابة مشهد جده أمير المؤمنين عليه السلام من قبل والده تاج الدين أبي علي الحسن نقيب نقباء بغداد.

قال عبد الرزاق بن الفوطي[٥] في حوادث سنة ٦٤٥: وفيها قلد تاج الدين الحسن بن المختار نقابة الطالبيين، فعين ولده علم الدين إسماعيل في نقابة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر ابن الفوطي[٦]: النقيب الطاهر علم الدين أبو محمد إسماعيل من البيت المعروف بالفضل والنقابة والسؤدد والتقدم والثروة والرياسة والنزاهة، قال شيخنا تاج الدين في تاريخه (ويعني به تاج الدين علي بن الطقطقي) وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول سنة ٦٤٥ قلد تاج

---

(١) ماضي النجف ١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٢) مستدرك الوسائل ٣/ ٤٤٤.
(٣) موارد الإتحاف ٢/ ٥٠ ـ ٥١.
(٤) ماضي النجف ١/ ٢٩١.
(٥) الحوادث الجامعة.
(٦) تلخيص مجمع الآداب ١/ ٥٥٦.

wadod.org

الدين ولده علم الدين إسماعيل نقابة مشهد جده عليه السلام، فكان على ذلك إلى أن توفي والده تاج الدين، فوثب علم الدين مكانه في شهر رمضان سنة ٦٥٢، وتقدم بحضور الصدور وأرباب الدولة، وخلع عليه، ولم يزل على ذلك إلى أن أدركه أجله في عنفوان شبابه، سابع عشر شعبان سنة ٦٥٣ وحمل إلى مشهد جده عليه السلام[١].

٢٤ـ **جلال الدين أبو نصر إبراهيم بن عميد الدين عبد المطلب بن شمس الدين علي بن عميد الدين علي الحسيني المختاري**: أمير الحاج، كان نقيب النقباء[٢].

٢٥ـ **شمس الدين علي بن عميد الدين عبد المطلب بن أبي نصر إبراهيم بن عميد الدين عبد المطلب بن شمس الدين علي النقيب الحسيني المختاري**: كان سيداً جليلاً تولى نقابة الأشراف في الغري الشريف، وهو آخر نقباء زمن بني العباس، ثم توجه إلى سبزوار، وقطن بها، وصار نقيب سبزوار وخراسان في زمن سلطنة الشاه رخ ميرزا[٣].

٢٦ـ **جلال الدين، أبو علي، عبد الحميد بن أبي طالب محمد بن جلال الدين أبي علي عبد الحميد بن عبد الله التقي النسابة المذكور**: السيد الشريف، العالم الفاضل الأديب، العريق الجليل القدر، الكبير الشأن، النقيب الكبير، نسابة عصره، وواحد دهره، نسباً وأدباً وتأريخاً، كتب الكثير، وطالع الكثير، وروى الكثير من الأشعار والأخبار والأنساب، يقال أنه أقام في غرفة بالكوفة سنين كثيرة للمطالعة لم ينزل منها.

قال شمس الدين محمد بن تاج الدين علي بن الطقطقي: «استفدت من خطه وضبطه، وكان ذا رأي مليح، وذكاء فصيح، وتصانيفه في الأنساب، وتعليقاته تعرب عن فضل جم، وتحقيق تام، وإطلاع كامل باضطلاع، وأشعار حسنة من جيّد أشعار العلماء»[٤].

روى المترجم عن والده العالم الورع شمس الدين أبي طالب محمد عن أبيه العالم الفاضل عبد الحميد بن التقي النسابة.

وروى عنه زين الدين علي بن الحسين بن حماد الفقيه، وشمس الدين فخار بن معد الموسوي المتوفي سنة ٦٣٠.

أمه من بنات الأعمام.

توفي سنة ٦٦٠هـ ودفن بالمشهد الغروي[٥].

---

(١) انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ١٢/ ٧٤، ماضي النجف ١/ ٢٨٧ موارد الإتحاف ٢/ ٤٤.

(٢) أعيان الشيعة ٥/ ١٢٨، موارد الإتحاف ٢/ ٤٤.

(٣) مجالس المؤمنين للمرعشي. انظر ترجمته في: الحوادث الجامعة ٣٢٩، ماضي النجف ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، موارد الإتحاف ٢/ ٤٥.

(٤) غاية الاختصار ١١٦.

(٥) انظر ترجمته في: عمدة الطالب ٢٧٦ ـ ٢٧٧، موارد الإتحاف ٢/ ٣٧ ـ ٣٨ ماضي النجف ١/ ٢٩٤، منية =

wadod.org

٢٧ـ جلال الدين أبو القاسم بن أبي طاهر سليمان بن الفقيه العامل فخر الدين يحيى المذكور: كان فقيهاً زاهداً فلما قتل أخوه زين الدين هبة الله توجه إلى السلطان غازان، وتولى النقابة والقضاء والصدارة بالبلاد الفراتية، وقتل كل من تدخل في قتل أخيه، وتجرأ على الفتك، وسفك الدماء، وطالت حكومته.

وابنه بهاء الدين داود كان نقيب النقباء[١].

٢٨ـ أبو الحسن علي بن أبي طالب محمد بن عبد الحميد بن أبي طالب عبد الله التقي الحسيني: تقدم باقي نسبه في ترجمة جده عبد الحميد أمير الحاج، النقيب بالغري. كان سيداً جليلاً كبير القدر، وأحد مشايخ الطالبيين بالعراق، مقيماً بالمشهد الغروي على مشرفه السلام، وكان يخدم في صباه (الديوان) ثم ولي نقابة المشهد مدة طويلة، وكان يتولى ماأحدثه صاحب الديوان عطاء الملك الجويني بالمشهد والكوفة من العمارات والقنى والأربطة، تزوج مريم بنت أبي علي المختار فأولدها. وله بنون، منهم أبو الغنائم مات بالسل[٢].

٢٩ـ نجم الدين أبو الحسين محمد بن أبي الفتح علي بن عبد الحميد بن عبد الله التقي الحسيني المذكور: نقيب المشهد الغروي[٣].

٣٠ـ تاج الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الحسين محمد بن أبي الفتح علي الحسيني: كان سيداً جليلاً شريفاً تولى إمارة الحج ونقابة الغري[٤].

٣١ـ فخر الدين صالح بن مجد الدين أبي الحسين عبد الله بن تاج الدين أبي الحسن علي الحسيني المذكور: كان نقيباً بالمشهد الشريف الغروي زمن نقابة السيد رضي الدين محمد الآوي الأفطسي، وكان فاضلاً نقيباً نسابة[٥]، وكان موجوداً في حدود سنة ٦٦٤، لأنّ رضي الدين الآوي كان في عصره السيد رضي الدين بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ والمترجم معاصر لهما.

امتد عقب هذا النقيب وطال وله أحفاد عقبوا سادة اشرافاً منهم: السيد لطف الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم قتله السلطان أحمد بن السلطان أويس ببغداد.

ومنهم: السيد الزاهد بهاء الدين علي، والسيد نظام الدين سليمان ابنا عبد الكريم، لهم

= الراغبين ٣٣٥.

(١) عمدة الطالب ٢٨١ ـ ٢٨٢. انظر ترجمته في: رحلة ابن بطوطة ١٧٩، أعيان الشيعة ١٣/ ٢٣٣، ماضي النجف وحاضرها ١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، موارد الإتحاف ١/ ١٥٠، ٢/ ٤٩.

(٢) غاية الاختصار ١١٥. انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/ ٣٨ ـ ٣٩.

(٣) عمدة الطالب ٢٧٧. انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/ ٣٨، ماضي النجف ١/ ٢٩٦.

(٤) عمدة الطالب ٢٤٧.

(٥) م.ن ٢٤٧.

wadod.org

أعقاب بالمشهد الشريف الغروي[١].

٣٢ـ رضي الدين علي بن سعد الدين موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عبد الله المعروف بالطاووس[٢] بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داوّد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولد يوم الخميس منتصف شهر محرم سنة ٥٨٩هـ.

كان عالماً فقيهاً شاعراً أديباً منشئاً. قرأ العلم على نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما، وتتلمذ عليه جماعة منهم الشيخ محمد بن صالح السيبي القبيني. قرأ عليه كتاب الأسرار في ساعات الليل والنهار.

يروى عن الشيخ حسين بن محمد السوراوي إجازة، وعن الشيخ علي بن يحيى الخياط الحلي، ونجيب الدين محمد السوراوي وغيرهم.

تولى النقابة في عهد الدولة الايلخانية من قبل هولاكو خان، وقد كانت مدته فيها ثلاث سنوات واحد عشر شهراً، وقد عرضت عليه في زمن المستنصر العباسي فرفضها ولما تولاها جلس في مرتبة خضراء، لأن الخضرة شعار العلويين، وفي هذا يقول علي بن حمزة العلوي الشاعر:

فهذا عليٌّ نجلُ موسى بنِ جعفرٍ ... شبيهُ عليٌّ نجلُ موسى بنِ جعفرِ
فذاكَ بدستِ للإمامةِ أخضرٍ ... وهذا بدستِ للنقابةِ أخضرِ

أما مؤلفاته فهي كثيرة منها: «مصباح الزائر وجناح المسافر» ثلاثة مجلدات، «فرحة الناظر وبهجة الخاطر» جمع فيه روايات كتبه، «الطرائف»، «الإقبال»، «مضمار السبق في ميدان الصدق»، «اللهوف في قتلى الطفوف»، «الاصطفاء في تاريخ الملوك والخلفاء»، «جمال الأسبوع»، «سعد السعود»، «رسالة في الحلال والحرام من علم النجوم»، «مهج الدعوات». كانت بينه وبين آل العلقمي مثل الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وأخيه وولدي الوزير صلات ودية.

توفي يوم الاثنين ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ، واختلف في موضع قبره، قيل: في

---

(١) م.ن انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/٣٨، ماضي النجف ١/٢٩٦.

(٢) هم من السادة الحسنية، فيهم نقباء وعلماء معظمون، كانوا بسورا من أعمال الحلة، ثم انتقلوا إلى بغداد، ولهم إقامة في النجف، سار ذكرهم، وبعد صيتهم، وحازوا المرجعية الروحية في العراق، ولهم أياد مشكورة في أيام التتار إذ حفظوا المشهدين الشريفين في النجف وكربلاء، كما حفظوا أيضاً الحلة والنيل من القتل والنهب حين دخول هولاكو بغداد وقتله أهلها، وقد صنف مجد الدين محمد بن عز الدين الحسن بن سعد الدين موسى بن جعفر المذكور ـ ابن أخ المترجم له ـ (كتاب البشرى) لهولاكو، وفوض له السلطان نقابة البلاد الفراتية. «عمدة الطالب ١٦٩، مستدرك الوسائل ٣/٤٧٢».

wadod.org

الكاظمية، وقيل: في الحلة[١]، وذكر ابن الفوطي: أنه حمل إلى مشهد جده علي عليه السلام[٢]. وقال البحراني: أن قبره غير معروف الآن[٣].

٣٣ـ زين الدين هبة الله بن أبي طاهر سليمان بن الفقيه العامل فخر الدين يحيى[٤] بن أبي طاهر هبة الله بن شمس الدين أبي الحسن علي بن مجد الشرف أبي نصر أحمد بن أبي الفضل علي بن أبي تغلب علي بن الحسن الأصم السوراوي بن أبي محمد الحسن الفارس النقيب بن يحيى بن الحسين النسابة بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: الصدر المعظم، النقيب الكبير، ولد سنة سبع وستين وستمائه ولي صدارة البلاد الحلية والكوفة ونقابتها مع المشهدين الغروي والحايري، فاستقر فيها عن سياسة ورياسة وسماحة. وهو اليوم أوفى الطالبيين عزة، وقد فاق إضرابه كرماً ونبلاً ورفعةً وصلاتٍ وبراً وشرفاً، وكان أبوه الفقيه فخر الدين يملأ العين قرة، والقلب مسرة، وأخوه الفقيه تاج الدين كذلك[٥].

تولى النقابة الطاهرية، وصدارة البلاد الفراتية وغيرها وقتل بظاهر بغداد سنة إحدى وسبعمائة قتله بنو محاسن بدم صفي الدين بن محاسن، وكان السيد قد أمر به فرفس ومات، وقتلوه قتلة شنيعة ورخص لهم في ذلك أدينة[٦] حاكم بغداد[٧].

٣٤ـ قوام الدين، أبو طاهر، أحمد بن عز الدين الحسن بن سعد الدين موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عبد الله المعروف بالطاووس:

كان من السادات الأعيان والأكابر، كانت له نقابة المشهد الغروي[٨]، وإمارة الحاج في أيام السلطان أرغون بن السلطان اباقا، وأيام أخيه كتخاتو خان، وحسنت سيرته في الحاج ذهاباً وإياباً، وشكره أهل العراق والغرباء الذين حجوا معه، وكان جميل السيرة وله خيرات دارّة على الفقراء.

---

(١) انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٢٩٨، تاريخ الحلة ٢/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) الحوادث الجامعة ٣٥٦.

(٣) لؤلؤة البحرين ١١٦.

(٤) يقال لولده بنو الفقيه، وهم من السادة الحسينية، أهل نباهة وجلالة، تقلدوا النقابة، وحازوا الرئاسة، وامتد فرعهم، واشتبكت أصولهم، وكانت لهم نقابة النقباء بسورا ـ موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانيين، وقد نسبوا إليها الخُمر ـ بالضم ـ وهي قرية من الوقف والحلة المزيدية ـ ولهم بيت عالي البناء وشهرة طائرة.

(٥) غاية الاختصار ١١٨.

(٦) أما ادينة فكان سجنه في بغداد، توفي سنة ٧٠٩ في نواحي الكوفة.

(٧) عمدة الطالب ٢٥١. انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٢٩٧، موارد الإتحاف ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠، ١/ ٤٨.

(٨) انظر: رحلة ابن بطوطة، ط دار التراث ـ بيروت ١٩٦٨م، ص١٧٤..

wadod.org

توفي سنة ٧٠٤[١].

٣٥ـ أبو غرة بن سالم بن مهنا بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا بن شهاب الدين حسين بن حمزة بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: كان نقيب الأشراف في النجف الأشرف والمتولي لمرقد جده علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو من السادة الجمامزة.

ولد في المدينة، وكان في جوار ابن عمه منصور بن جماز أمير المدينة، ثم انتقل إلى العراق واستوطن النجف[٢]. وقد ولي هذا النقيب ثانياً نقابة النقباء في بغداد بعد وفاة قوام الدين أحمد بن أبي القاسم علي بن علي بن موسى بن جعفر آل طاووس.

وذكر ابن بطوطة: «كان الشريف أبو غرة بن سالم بن مهنا بن جماز بن شيحة الحسيني المدني قد غلب عليه في أول أمره العبادة، وتعلم العلم، واشتهر بذلك، وكان ساكناً بالمدينة الشريفة في جوار ابن عمه منصور بن جماز أمير المدينة، ثم أنه خرج عن المدينة واستوطن العراق، وسكن منها بالحلة، فمات النقيب قوام الدين بن طاووس، فاتفق أهل العراق على تولية أبي غرة نقابة الأشراف، وكتبوا بذلك إلى السلطان أبي سعيد فامضاه، فأنفذ له اليرليغ (البريد) وهو الظهير بذلك، وبعثت له الخلعة والأعلام والطبول على عادة النقباء ببلاد العراق، فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد، وتصرف في الأموال تصرفاً قبيحاً، فرفع أمره إلى السلطان، فلما علم بذلك أعمل السفر مظهراً أنه يريد خراسان قاصداً زيارة علي بن موسى الرضا(ع) بطوس، وكان قصده الفرار.

فلما زار قبر علي بن موسى الرضا قدم هراة، وهي آخر بلاد خراسان، وأعلم أصحابه أنه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم عنه وتجاوز هو أرض خراسان إلى السند»[٣]. . . . إلخ.

وفي بحر الأنساب قال: «تولى النقابة بالعراق بعد قوام الدين بن طاووس ثم فر إلى الهند، وأكرمه السلطان محمد بن يغلق شاه، وأعطاه قريتين وبهما توفي». وفيه أيضاً: «ابنته شقر تزوجها السيد بركات بن حسن بن عجلان الحسني وأولدها السيد سلطان محمد، سلطان مكة الآن سنة ٨٦٠ والسيد علي بن بركات. وفاطمة»[٤]

٣٦ـ شمس الدين حسين بن تاج الدين أبي الفضل محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن

---

(١) تلخيص مجمع الآداب، موارد الإتحاف ٢/ ٤٧، ماضي النجف ١/ ٢٩٨.
(٢) الحصون المنيعة ـ خ ـ.
(٣) رحلة ابن بطوطة ١٧٩.
(٤) ماضي النجف ١/ ٢١٢، موارد الإتحاف ٢/ ٤٧ ـ ٤٨.

wadod.org

زيد الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن الحسن التج: وقد تقدم باقي النسب. كان يتولى نقابة العراق: وكان فيه ظلم وتغلب، فأقلق سادات العراق بأفعاله، فتوصل الرشيد الطبيب إلى قتله بكل حيلة واستمال جماعة من السادات، فأوقعوا في خاطر السلطان من السيد تاج الدين وأولاده حكايات ردية، فلما كثر ذلك على السلطان استشار الرشيد، الطبيب في أمره، وكان به حفيا، فأشار عليه أنه يدفعه إلى العلويين، وأوهمه أنه إذ أسلمه لهم لم يبق لهم طريق في الشكاية والتشنيع، وليس على السيد تاج الدين من ذلك كثير ضرر.

فطلب الرشيد الطاهر جلال الدين بن الفقيه وكان سفاكاً جرياً على الدماء، وقرر معه أن يقتل السيد تاج الدين وولديه ويكون له حكم العراق نقابة وقضاء وصدارة، فامتنع السيد جلال الدين من ذلك وقال: إني لا أقتل علوياً قط، ثم توجه من ليلته إلى الحلة.

فطلب الرشيد، السيد ابن أبي الفائز الموسوي الحائري وأطمعه في نقابة العراق على أن يقتل السيد تاج الدين وولديه، فامتنع من ذلك وهرب إلى الحائر من ليلته.

وعلق السيد جلال الدين إبراهيم بن المختار في حبالة الرشيد وكان بعد وفاة أبيه النقيب عميد الدين يقربه ويحسن إليه ويعظمه حتى كان يقول أي شيء يريد الرشيد أن يقضيه بالسيد جلال الدين، فأطمعه الرشيد في نقابة العراق وسلم إليه السيد تاج الدين وولديه شمس الدين حسين وشرف الدين علي، فأخرجهم إلى شاطىء دجلة، وأمر أعوانه بهم فقتلوهم[١] وقتل ابني السيد تاج الدين قبله عناداً وتمرداً لأمر الرشيد. وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٧١١ إلى آخر مافي عمدة الطالب ص٣٠٨. ذكر هذا النقيب ابن بطوطة في رحلته عند دخوله النجف سنة ٧٢٥ قال عند ذكره نقيب الأشراف ما نصه: «وكان النقيب في عهد دخولي إليها نظام الدين[٢] حسين بن تاج الدين الآوي»[٣].

---

(١) الظاهر أن القبر الواقع في أراضي شمر طوقه المعروفة بالحفرية له وهو في جانب دجلة الأيسر يبعد عن دجلة ربع ساعة ويبعد ساعتين عن بلدة الصويرة من جهة الشرق. والصويرة تكون في جانب دجلة الأيمن، فهو بين الصويرة والعزيزية يبعد عن الطريق العام الذي يمر من بغداد إلى الكوت مسيرة ربع ساعة للماشي، وهو ظاهر بغداد ومعروف بقبر تاج الدين.

(٢) الظاهر أن نظام الدين لقب ثان لشمس الدين حسين المذكور، كما أن الظاهر أنه وأباه السيد تاج الدين وأخاه شرف الدين علياً قتلا بعد سنة وفاة محمد خدا بنده التي هي سنة ٧١٦ كما في مجالس المؤمنين ص٢١٦ ويعضده مافي رحلة ابن بطوطة حيث ذكر نظام الدين حسين بن السيد تاج الدين المذكور عند دخوله النجف سنة ٧٢٥ فما ذكره في عمدة الطالب ص٣٠٨ من أنهم قتلوا سنة ٧١١ لعله اشتباه. فلاحظ.

(٣) وفي ذيل جامع التواريخ الرشيدي لمؤلفه شهاب الدين المدعو بالحافظ برو (ت٨٣٤) ص٤٨ طبع إيران ما ترجمته: «وفي أيام وزارة الخواجة سعد الدين الساوجي تقرب إلى السلطان السيد تاج الدين (الآوجي) الذي كان قاطناً في آوه وكان متولداً في الكوفة، ونشأ في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وصار من مقربي مجلسه الخاص، وقام بدعوة السلطان إلى مذهبه، وأمر السلطان بإسقاط اسم الشيخين وعثمان من الخطبة، وأن يقتصروا من أسماء الخلفاء في الخطبة على اسم علي(ع) إلى أن قتل سعد الدين الوزير،=

wadod.org

٣٧ـ أبو زرعة محمد بن علي بن حمزة بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زيد بن الحسين بن زيد الأسود بن إبراهيم بن محمد بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: قطب الدين، كان عالماً فاضلاً جليلاً ولي نقابة شيراز أولاً وفي ولده نقابتها، ثم قدم العراق، فولي نقابة الغري الشريف، وبعدها صار نقيب نقباء الممالك وقاضي قضاتها ببغداد[١].

٣٨ـ رضي الدين محمد بن شرف الدين علي بن تاج الدين أبي الفضل محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن زيد بن الداعي بن زيد الحسيني، الأفطسي، الآوي: كان وقت قتل أبيه وجده وعمه طفلاً فأخفي إلى أن شبّ وكبر وقلد نقابة المشهد الشريف الغروي نيابة عن السيد قطب الدين أبي زرعة الشيرازي الرسيّ، ثم فوضت إليه استقلالاً، وبقيت في يده إلى أن مات، وتقدم نظراءه وطالت ولايته وتوفي عن أربعة بنين: شمس الدين حسين، وتاج الدين محمد، ومجد الدين القاضي، وسليمان درج[٢].

٣٩ـ ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح رضي الدين محمد نقيب ابهر[٣] بن علي بن عربشاه حمزة بن أحمد بن عبد العظيم بن عبد الله بن علي الشديد بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام[٤]: كان والده رضي الدين أبو عبد الله محمد نقيباً بأبهر، وله فضل عظيم، وبيتهم بيت جلالة ورياسة، وكانوا قديماً في الكوفة يعرفون بالسبيعيين ـ نسبة إلى محلة بالكوفة يقال لها: السبيعية، لأن بني سبيع (هم بطن من همْدان) نزلوا بها ـ.

تولى ناصر الدين هذا نقابة المشهدين العلوي والحسيني، والحلة والكوفة مدة وسافر أخيراً إلى الهند وصار من ندماء ملوكها[٥].

ذكر ابن بطوطة أنه مازال حياً[٦].

= فسعى جماعة عليه عند السلطان، ونسبوا بعض المنكرات إلى مذهبه، ولما أن ثبت عند السلطان مقالهم أمر السلطان بقتله، وقتل ولده فقتلوهما وقتلوا جماعة أخرى منهم».

عمدة الطالب، ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٠٢، موارد الإتحاف ٢/ ٥١ ـ ٥٢، وقد أورد نسبه هكذا: «شمس الدين حسين بن رضي الدين محمد بن شرف الدين علي بن تاج الدين محمد بن مجد الدين الحسين»... إلخ.

(١) عمدة الطالب ١٧٦ ـ ١٧٧، موارد الإتحاف ١/ ٨٧، ٢/ ٥٠.

(٢) عمدة الطالب ٢٤٢، موارد الإتحاف ٢/ ٥١ ـ ٥٢.

(٣) ابهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل، والعجم يسمونها أوهر، فتحت سنة ٢٤هـ (انظر: معجم البلدان مادة: أبهر).

(٤) عمدة الطالب ٩٤.

(٥) ماضي النجف ١/ ٢١١.

(٦) رحلة ابن بطوطة ١٧٩.

wadod.org

٤٠ـ شمس الدين محمد بن جماز[١] **بن علي بن محمد بن إدريس بن زين الدين علي بن أبي الفتح علي بن قاسم بن حريز بن ذروة بن عليان بن عبد الله بن محمد بن علي العمقي بن محمد الأصغر بن أحمد المسور بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام**: كان سيداً شديد القوة، مقدماً عند السلاطين، وتولى نقابة الأشراف بالمشهد الشريف الغروي وثابر على النقابة في أيام دولة السلطان أبي سعيد وأيام الأمير الشيخ حسن ومزاحم وجماز[٢].

وكان مقدماً عند الملوك مقبولاً لدى السلاطين محتشماً، كثير الضياع والإقطاع والبساتين، وولي نقابة المشهد الغروي عدة سنين[٣].

وله عدة أولاد وهم: أحمد، ونور الدين علي، وإدريس ومزاحم، وجماز، ولكل واحد منهم أولاد[٤].

٤١ـ شهاب الدين أحمد بن مشهر بن أبي مسعود بن مالك بن مرشد بن خراسان بن منصور بن محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن مالك بن الحسين بن المهنا بن أبي هاشم داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: السيد الجليل النقيب. يلقب حليتا، كان جليل القدر عالي الهمة، يتولى أوقاف المدينة المشرفة بالعراق، ثم تولى نقابة الحائر سنة ٧٥٦هـ وعزل عنها، ثم شارك في نقابة المشهد الغروي، وتسلط ثم عظم جاهه[٥].

٤٢ـ شرف الدين يحيى بن جماز بن علي الحسني: تقدم باقي نسبه في ترجمة أخيه شمس الدين محمد، كان سيداً جليلاً مقدماً عند الملوك، مقبولاً لدى السلاطين محتشماً. تولى نقابة المشهد الغروي مدة بعد أخيه[٦].

وله عقب متصل وأولاده متعددون وهم: محمد وعلي، ولكل منهما أولاد[٧].

٤٣ـ بهاء الدين إدريس بن شمس الدين محمد بن جماز الحسني: تقدم باقي نسبه في

---

(١) آل جماز: من السادة الحسنية عرفوا أخيراً بآل جماز، وكانوا قبلا يعرفون بالعموق نسبة إلى علي العمقي والعمق: منزل بالبادية ينزله ولده، وهم عدد كثير في الحجاز والعراق، وعرف منهم بيت بآل عرفة وآل سلمة. تولى بعض منهم نقابة الأشراف في النجف.

(٢) جمال الدين عبد الله الجرجاني في تعليقه على بحر الأنساب المشجر.

(٣) مناهل الضرب في أنساب العرب ـ خ ـ.

(٤) ماضي النجف ١/ ٣٠٠، موارد الإتحاف ٢/ ٤٦.

(٥) عمدة الطالب ٣٣٧ ـ ٣٣٨، المشجر الكشاف ١٢٨ ـ ١٢٩. انظر ترجمته في: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣١٢ ـ ٣١٣، موارد الإتحاف ٢/ ٥٠.

(٦) مناهل الضرب ـ خ.

(٧) انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٣٠٠، موارد الإتحاف ٢/ ٤٦.

wadod.org

ترجمة والده، ولي حكومة المشهدين والحلة، وكان ذا همة عالية[١].

٤٤ـ **إدريس بن نور الدين علي بن شمس الدين محمد بن جماز الحسني**: تقدم باقي نسبه في ترجمة جده شمس الدين محمد، السيد النقيب الطاهر، كان ذا همة عالية، تولى حكومة المشهدين الغروي والحائري والحلة مدة[٢].

٤٥ـ **جلال الدين علي بن شرف الدين المرتضى العلوي الحسيني الآوي**: أبو المعالي النقيب بالمشهد الشريف العلوي، الذي كتب باسمه الشيخ المقداد بن عبد الله الحسين السيوري المتوفى في ٢٦ جمادى الثانية سنة ٨٢٦ كتاب «الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية»، وهو شرح على «رسائل الفصول في الكلام» للخواجة نصير الدين الطوسي، وقال في خطبة هذا الشرح: «وخدمت به عالي مجلس من خصه الله بخصائص الكمال، وحباه بأشرف عنصر وأكرم آل، وجعله بحيث يتصاعد همته العليا مراتب آبائه الأكرمين، وهو المولى السيد النقيب الطاهر المرتضى الأعظم، مستخدم أصحاب الفضائل بفواضل النعم، ومستقبل أرباب المكارم بفائق مزيد الكرم، الذي تسنم من الشرف صهوات مصاعده، واستعلى من خصائص المجد على أعلى مقاعده، وأحرز بأياديه الشريفة قواعد الدين، وحفظ بجميل سيرته معاقل المؤمنين، ذاك شرف الإسلام وتاج المسلمين، بل ملك السادات والنقباء في العالمين، وظهير أعاظم الملوك والسلاطين، السيد النقيب الأطهر جلال الملة والحق والدنيا والدين أبو المعالي علي:

أساميـاً لـم تـزدْهُ معـرفـة ... وإنَّمـا لـذَّةٌ ذكـرنـاهـا

ابن المولى النقيب الطاهر المغفور شرف الملة والدين المرتضى العلوي الحسيني الآوي، خلد الله تعالى سيادته، وربط بالخلود أطناب دولته، ولا زالت أيامه الزاهرة تميس وتختال، في حلل البهاء والكمال، وتمت له النعمى، وذلت له المنى، وحلت بمن عاداه قاصمة الظهر، ولاعرفت أيامه نوب الدهر، ليشرفه بنظره الثاقب، ويعتبره بحدسه الصائب». وكتاب «الأنوار الجلالية» منه نسخة في جبل عامل، وتاريخ كتابتها سنة ١١٤٦[٣].

٤٦ـ **محمد المعروف بـ(ليث) الحسيني**: من نقباء النجف المعاصرين للشاه إسماعيل الأول بهادرخان، وفي طبقة الشيخ علي المحقق الكركي، كما ذكره في حبيب السير قائلاً: «هو قدوة نقباء النجف، وزبدة أصحاب الفضل والشرف، طيب الذات، حسن الصفات، على جانب عظيم من مكارم الأخلاق، وكان أكثر أوقاته مشغولاً بالعبادة. وكان له ولد نسابة اسمه السيد يوسف بن محمد ليث الحسيني النجفي، رأى بخطه الشريف السيد آغا نجفي النسابة مشجرة لبني

---

(١) التذكرة في الأنساب المطهرة ـ خ ـ. انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/ ٤٦.

(٢) التذكرة في الأنساب المطهرة ـ خ، جمال الدين الجرجاني في تعليقه على بحر الأنساب المشجر. انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٣٠١، موارد الإتحاف ٢/ ٤٦.

(٣) أعيان الشيعة ٤٢/ ١٥٩. انظر ترجمته في: موارد الإتحاف ٢/ ٥٢ ـ ٥٣.

wadod.org

الداعي الأفطسيين تأريخ تمامها سنة ٩٤٣، وكتب تلك المشجرة باستدعاء السيد عبد الحي من ذرية الداعي الأفطسي»[١].

٤٧ـ **بهاء الدين علي الآوي**: كان في سنة ١٠٣٥ نقيباً في الغري الشريف، ولما توجه مراد باشا قائد الجيش العثماني إلى بغداد سنة ١٠٣٥ ومعه الشيخ مدلج بن ظاهر بن عساف[٢] من أمراء طي، وفتح بغداد كتب إليه أهالي النجف يطلبون منه الأمان فأجابهم ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى من بالمشهد المنور، والمرقد المطهر، الإمام المظفر، والشجاع الغضنفر، أبي الحسنين حيدر كرم الله وجهه، من السادات والأعيان وسائر السكان خصوصاً السيد البهي والوالي الولي الأمير بهاء الدين علي.

أما بعد، هو إنا أعطيناكم أمان الله وأمان رسوله صلى الله عليه وآله، وأمان السلطان مراد باشا، الرعايا لاعلاقة لهم فيما يقع بين السلاطين من أمور الدنيا والدين، بل هم كالأنعام يرعاهم من يتولاهم، وأن وزير حضرة السلطان أرسلنا إلى هذا المكان لنجاهد حق الجهاد، ونستنقذ الرعايا والبلاد من أيدي الأكراد أهل البغي والعناد، وكنا قد عزمنا سابقاً على أن نرسل إلى إنقاذ النجف الأشرف شرذمة من العساكر، لكن عدلنا عن ذلك إذ رأينا تجريد السيوف القواطع، ورمي السهام والمدافع، على تلك الحضرة المنورة والبقعة المطهرة، من سوء الأدب في حق الإمام المنتخب، وأيضاً أشفقنا على المجاورين والسكان المستظلين بذلك المكان فحين، وصل الكتاب وورود هذا الخطاب، قروا في مكانكم، وأقيموا في أماكنكم، وحافظوا على أوطانكم، فاضبطوا النجف الأشرف ولا تؤمن ولا تخف، أن يأتيكم كتابي ممهوراً بمهري المزبور أو رجل من طرف الوزير المذكور، فعليك بحفظ المكان المحترم وصيانة الموضع المكرم وفي هذا كفاية»[٣].

٤٨ـ **أبو ناصر عبد الله بن الحسين الحسني الثقفي النجفي**: عفيف الدين. كان نقيب

---

(١) حبيب السير ٤/ ٣٩١. انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) هو مدلج بن ظاهر بن عساف بن عجل بن نظير بن موسى من فخذ أبي ريشة، وهم أمراء طي. سقط من على فرسه فهلك سنة ١٠٤٠ كان أمير عربان البادية مدة مديدة، وكان بقبضته بدوان نواحي بغداد والموصل وبعد وفاته أقام مقامه خسرو باشا أميراً على العربان الأمير سعيد بن فياض، وهو من أرحام أبي ريشة ـ عن يعقوب سركيس وتاريخ عباس العزاوي.

وأما مراد باشا الذي كان بصحبته الشيخ مدلج، فهو مراد باشا. كان والياً على حلب، ثم منح منصب ديار بكر برتبة الوزارة، ثم عين قائداً على ثلة من الجيوش التركية التي توجهت إلى بغداد سنة ١٠٣٥هـ، وله موقف مع أعراب البادية إلى أن قتله الوزير حافظ. انظر: تاريخ العراق بين احتلالين ٤/ ٢٤٥.

(٣) ماضي النجف ١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧، موارد الإتحاف ٢/ ٥٣ ـ ٥٤ نص الكتاب عن مجموع خطي للسيد جعفر الخرسان.

wadod.org

النجف الأشرف. عالم فاضل، أديب شريف حسني، نقب وساد شاباً، لقب بالوزير وكان من أسرة شريفة ومسلمة الرياسة في تلك الأنحاء حتى قال السيد علي خان فيه:

قومٌ بَنَوا شُرَفَ العُلا بينَ الخورنق والسديرِ
قلْ للمكاثرِ مجدَهم أينَ القليلُ مِنَ الكثيرِ

وكان شاعراً كاتباً، وبينه وبين السيد علي خان المدني صاحب سلافة العصر المتوفى سنة ١١٢٠هـ مكاتبات ومجاريات نثراً وشعراً، ويلقب الشيرازي بقوله العفيف، وله فيه قصائد طويلة وهي مثبتة في ديوانه، وقد مدحه فيها كثيراً[١].

٤٩ـ محمد بن أمير الحاج السيد حسين النسابة بن محمد بن الأمير محسن بن عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد المطلب بن علي بن الفاخر بن الأسعد بن أبي نصر محمد بن أبي الحسن علي بن أبي عبد الله أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي عبد الله أحمد بن أبي علي محمد بن محمد الأشتر بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام: وهو من آل فاخر بن الأسعد. ففاخر يعرف عقبه بآل فاخر، منهم كانوا في الغري الشريف.

كان نقيب المشهدين الشريفين العلوي والحسيني، في أوائل القرن الحادي عشر، قال السيد نصر الله الحائري يهنئه بزفافه، وفيه فذلكة بإضافة لفظ (يمنا) إلى التاريخ:

عُرْسُكَ يامَنْ أُحبُّه للروح منِّي قدْ مَلَكْ
يُمناً حوى تاريخُهُ (أشرقَ بدرُ السعدِ لكْ)

١١٢٣هـ

وقال السيد نصر الله يهنئه بعرس ولده السيد حسين:

اقترنتْ شمسُ الضُحى معَ القَمَرْ في ليلةٍ ذاتِ حجولٍ وغُررْ
أحسِنْ بها مِنْ ليلةٍ موشيةٍ طاب لنا فيها إلى الصبح السهرْ
شبهُ السَّما فيها التُخيلاتُ والشمعُ عليها كالنُجومِ قدْ زَهَرْ
كالشُهبِ صعاداتُها قدِ اغتدتْ ترجمُ شيطانَ الهمومِ إنْ خَطَرْ
سرتْ بها الدّنيا وقرّتْ عينُها وقدْ صفا العيشُ بها بعدَ الكَدَرْ
أيا نقيبَ العصرِ والبحرَ الّذي يقذِفُ للراحينَ كفُّهُ دُرَرْ
ويامَنِ الدهرُ لديهِ خاضعٌ يُعطيهِ فيما قد نَهَى ومأَمَرْ
تهنَّ في عُرسِ حسينِ الّذي يُجلى بنورِ وجههِ قذى النَّظَرْ[٢]

ومن ولد المترجم له: السيد محمد (المعروف بالمتخلص) بن الحسين أمير الحاج بن

(١) أعيان الشيعة ٣٨/ ٩٢. انظر ترجمته في: الذريعة ٩ ـ ٣/ ٩٥٨، موارد الإتحاف ٢/ ٥٤.
(٢) أعيان الشيعة ٢٧/ ١٠١.

wadod.org

السيد محمد النقيب المذكور: كان عالماً فاضلاً وشاعراً وأديباً له نظم جيد، وكان مسكنه النجف الأشرف، وتوفي بها سنة ١١٨٣، فمن تصانيفه ديوانه الموسوم «نور الباري» و«مجالس المصائب ونفثات الصدور»، وكتاب «الآيات الباهرات» له ترجمة في المعاجم، ذكره الشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعة، والشيخ آغا بزرك الطهراني[١]، والسيد محسن الأمين العاملي[٢] وتلمذ على السيد نصر الله الحائري. فمن شعره قوله في العباس بن علي عليهما السلام:

بـــذلـــتَ أيـــا عبـــاسُ نفســـاً نفيســـةً ... لنصـــرِ حسيـــنٍ عـــزَّ بـــالمجـــدِ عَـــنْ مِثْـــلِ
أبيـــتَ التـــذاذ المـــاءِ قبـــلَ التـــذاذِهِ ... وحُســـنُ فعـــالِ المـــرءِ فـــرعٌ مِـــنَ الأصـــلِ
فـــأنـــتَ أخـــو السبطيـــنِ فـــي يـــومِ مفخـــرٍ ... وفـــي يـــومِ بـــذلِ المـــاءِ أنـــتَ أبـــو الفضـــلِ

وله كتاب «شرح الشافي» لأبي فراس طبع، وله ولد اسمه السيد حسين بن السيد محمد المعروف بالمتخلص ذكره آغا بزرك[٣] وأنه خلف محمد علي المولود سنة ١١٩٦، وسليمان المولود سنة ١١٩٥ وعباس المولود سنة ١١٩١ فعباس ابنه سلطان محسن[٤].

٥٠ـ شهاب الدين أبو عبد الله أحمد بن أبي محمد عمر نقيب الكوفة بن أبي الفتح محمد نقيب الكوفة بن أبي طاهر عبد الله نقيب الكوفة بن أبي الفتح محمد نقيب الكوفة بن الأمير محمد الأشتر الحسيني: تقدم باقي نسبه، تولى النقابة بالمشهد والكوفة. ذو صيت وتوصل[٥].

وأياهم عنى الشيخ محمد السماوي بقوله:

ومنهـــمُ بنـــو عبيـــدِ اللـــهِ ... الاشتـــريـــونَ عظيمـــو الجـــاهِ

ولي آباء المترجم نقابة الكوفة[٦].

٥١ـ محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن القاسم الشبيه بن أحمد بن عبد الله بن علي الشديد بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط(ع): كان بالكوفة ينسب إليه النصب وشدة التستر، وله ابن أسود الجميم في مقابر قريش.

ومحمد هذا تولى نقابة المشهدين والحلة والكوفة أشهراً[٧].

٥٢ـ أبو علي الحسن بن أحمد بن علي بن محمد بن قوام الدين إسماعيل بن بدر الشرف عياش بن أبي المعالي أحمد بن أبي الفتح محمد بن أبي طاهر أحمد بن أبي الحسن محمد

---

(١) الذريعة ١/ ٤٤.
(٢) أعيان الشيعة ٤٤/ ٢٨٢.
(٣) الكواكب المنتشرة ٦٤٣.
(٤) موارد الإتحاف ٢/ ٦٧ ـ ٦٨.
(٥) التذكرة في الأنساب المطهرة ـ خ ـ، عمدة الطالب ٣٢٤ ـ ٣٢٥.
(٦) انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١، موارد الإتحاف ٢/ ٤٩.
(٧) بحر الأنساب ٢١٢. انظر ترجمته في: ماضي النجف ١/ ٣١٤.

wadod.org

عزام بن أبي طاهر أحمد بن أبي الطيب الحسن بن محمد الاشتر بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين عليه السلام: النقيب بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وأمير الحاج[١].

له أخوة ثلاثة وهم: جلال الدين، ومحمد، وعياش وله ولد اسمه حسن[٢].

وبيت عياش نقباء المشهد[٣].

٥٣ـ السيد محمد (كمونة) بن علي بن حسين بن أبي منصور جعفر بن أبي جعفر الحسين بن أبي منصور بن أبي الفوارس طراد بن شكر بن أبي جعفر النفيس هبة الله بن أبي الفتح محمد نقيب الكوفة بن أبي طاهر عبد الله بن أبي الفتح محمد المعروف بابن صخرة بن محمد الأشتر بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي الصالح بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين عليه السلام:

من السادة الأشراف، حاز سمعة وصيتاً، وكان له فضل ساطع، وفهم لامع، وهو فريد دهره فضلاً، وقريع وقته جلالة ونبلاً، له همة عالية في درك الحقائق حتى اشتهر صيته في الأقطار.

ولي نقابة الأشراف في الغري الشريف والبلاد الفراتية، ولما توجه الشاه إسماعيل الأول الصفوي إلى تسخير العراق، خاف والي بغداد يازبك بك من السيد محمد كمونة حيث كان متهما في الميل إلى الشاه وإخلاصه له، وأنه مطاع في أرجاء العراق، وله وجاهة ونفوذ، فناله من جراء ذلك أن الوالي أمر بالقبض عليه وزجه في جب مظلم في بغداد مقيداً، وعندما علم الوالي أن حكومته ليس لها قدرة على الدفاع في هذه الحالة، وأنه قد عين الشاه إسماعيل لهذه المهمة أحد قواده حسين بك لالا فجعله مقدماً على جيش كبير، ثم تحرك هو متأخراً عنه، ولما سمع الوالي يازبك بك اضطرب أمره، ففضل الفرار على الكفاح، وتوجه إلى مدينة حلب، وعند الصباح اجتمع الاهلون ببغداد، وجاؤوا إلى الجب الذي سجن فيه السيد محمد كمونة فأخرجوه منه وكان نحيفاً ضعيفاً من ظلمة السجن، وسلموا إليه مقاليد الأمور ببغداد، وبهذا أبدوا طاعتهم للشاه وقد ظهرت طلائع الجيش الصفوي عند بساتين بغداد.

وفي يوم الجمعة صعد السيد محمد كمونة المنبر في مسجد الجامع، وخطب الخطبة الاثني عشرية، وأدى كمال الإخلاص والطاعة للشاه إسماعيل، وبعد أداء صلاة الجمعة ذهب الأهلون إلى خارج المدينة وقادتها إلى خليفة بيك، وكان ذلك بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة٩١٤ نزل الشاه بغداد والتجأ الناس إلى عدله وزاد في مرتبة السيد محمد كمونة وأعلى مقامه، فنال السيد

---

(١) المشجر الكشاف ١٢٩، غاية الاختصار.

(٢) بحر الأنساب ١٢٨.

(٣) ماضي النجف ١/ ٢٩٠، موارد الإتحاف ٢/ ٤٦ ـ ٤٧.

wadod.org

محمد من الشاه توجهاً وإنعاماً، وأودعت إليه إدارة بعض الولايات وتولية النجف الأشرف، وسير معه جيشاً إلى النجف بعلم وطبل، فأحسن إليه وقربه، فلما ولد للشاه إسماعيل ولده طهماسب، وأجريت له المراسيم، جمع الشاه أطرافه ودعا قواده وبينهم والي العراق الملقب خليفة الخلفاء، ومعه السيد محمد كمونة، فالسيد محمد اخلص للشاه إسماعيل الود، وناصره في السر والعلن، ولم تمض مدة حتى توجه الشاه إسماعيل إلى تبريز، ورافقه السيد محمد كمونة حتى حدثت وقعة جالدران وكان معهم عشرون ألف مقاتل، ومن العرب نحو عشرة آلاف. وهذه الواقعة كانت في أوائل رجب سنة ٩٢٠ مع جيش الروم، ولما التقى الصفان استشهد السيد محمد كمونة، ومير عبد الباقي وكيل السلطان، ومير السيد شريف الصدر، وذلك أن جيش السلطان سليمان بن السلطان سليم هاجموا جيش الشاه إسماعيل وتقدم في مقدمة جيش الشاه هؤلاء الأعلام فاستشهدوا في تلك الواقعة سنة ٩٢١.

والمترجم من بني كمونة، ذكرهم السيد نور الله المرعشي في «مجالس المؤمنين» في المجلس الثاني من بيان الطوائف المشهورة بالتشيع منهم بنو كمونة، قائلاً: «وهؤلاء بيت كبير من السادات، معروفون بعلو الدرجات، ومذكورون بعلو الحسب، وسمو النسب، وفي أرض عراق العرب والكوفة مشتهرون بكثرة العدة والعدد».

وأصل بني كمونة بني كمكمة من أولاد شكر الأسود بن جعفر النفيس بن أبي الفتح محمد نقيب الكوفة، والناس حرّفوا وقالوا لهم كمونة واشتهروا بذلك.

وأن السيد الفاضل النسابة المير محمد قاسم المختاري السبزواري ذكر في بعض مؤلفاته: «أن جماعة سادات بني كمونة كانوا من أكابر نقباء كرام الكوفة، وفي قديم الزمان كانت نقابة السادات والزعامة في عراق العرب خصوصاً الكوفة في بيوتهم، وفيهم علماء وفضلاء كثيرون».

ثم ذكر: «ومن أكابر متأخري هذه السلسلة العلية السيد محمد كمونة نقيب مشهد النجف، ورئيس الشيعة في عراق العرب» وقد أورد ذكرهم كثير من أصحاب المعاجم ودوائر المعارف منهم: القرماني[١] وفي عالم آرا العباسي[٢] وكلشن خلفا[٣] ومنتخب التواريخ[٤] وحبيب السير[٥] وفي أحسن التواريخ لحسن روماد، وفي الحصون المنيعة للشيخ علي كاشف الغطاء

---

(١) تاريخ القرماني ٣١٤.

(٢) ص٢٥ ـ ٣٢، وفي ص٢٦ ما ترجمته: «أن الشاه اسماعيل حين دخوله النجف ولى حكومة النجف [illegible] وبعض مخان عراق العرب إلى السيد محمد [illegible]

(٣) ٣/ ٢٥.

(٤) ص ٢١٠.

(٥) ص ٣٣٨.

wadod.org

مخطوط، والسيد محسن العاملي[١] وعباس العزاوي[٢] والزركلي[٣] وفي فارس نامه، وفي مجموعة منشئأن فريدون بك، وفي منتظم ناصري[٤]، والشيخ محمد حسين الاعلمي[٥] وفي سمير الحاضر وأنيس المسافر للشيخ علي كاشف الغطاء ـ مخطوط[٦].

٥٤ـ **السيد حسين بن ناصر الدين محمد بن علي الحسيني من بني كمونة**: تقدم باقي نسبه في ترجمة والده. ولي نقابة المشهد الشريف الغروي وحكومتها بعد سفر والده بصحبة الشاه إسماعيل الأول، وبقي في النقابة إلى عصر الشاه طهماسب بن الشاه إسماعيل المتوفي سنة ٩٨٢ وكان لقبه عز الدين وكان ذا ثروة وأملاك. وهناك وثيقة باسمه في مقاطعة تسمى (السلهوة) من أرض الحسكة في الرماحية تأريخها في الحادي عشر من شوال سنة ٩٥٨ وعليها شهود جماعة منهم السيد سيف الدين بن ناصر الدين كمونة وقد أوردها السيد محسن العاملي[٧] عند وصفه المترجم، وفي وثيقة وقف مزرعة السلهوة أوقفها على ولديه السيد محمد والسيد منصور في سنة ٩٥٨.

٥٥ـ **السيد محمد بن عز الدين حسين بن ناصر الدين محمد الحسيني**: تقدم باقي نسه في ترجمة جده، ولي نقابة المشهد الشريف الغروي بعد والده في زمان السلطان سليمان القانوني في عصر طهماسب الصفوي المتوفي سنة ٩٨٢، وكانت ولايته النقابة في أواخر القرن العاشر، ولما أراد السلطان سليمان القانوني أن يفتح بغداد كان حاكمها يومئذ محمد خان تكلو من الشاه طهماسب، ولما علم الوالي أن أماني السلطان أن تتم سفرته بفتح بغداد، ارتبك أمره وأصابه الرعب، وأخبره أن أهالي بغداد نادوا بالميل إلى السلطان وأنهم أبدوا حبهم له، وكان نحو ثلاثة آلاف من جنده من قبيلة تكلو جاهروا فاتخذوا المستنصرية حصناً لهم، وكان من أمل الخان أن يوقع بهؤلاء وأن يصطدم بهم، فلم يوافقه السيد محمد كمونة، بل مانعه أن يقوم بالفتنة، فسكن الخصام بينهما، فتظاهر أنه مع السلطان، فوجد موافقة، ومن ثم بناءً على موافقة الخان أرسلوا مفاتيح بغداد مع رؤساء قبيلة تكلو وقدموها للسلطان، فأبقوا الخان رئيساً ودخل جيش السلطان إلى بغداد بلاحرب وكان دخول السلطان سليمان بغداد يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ [٨].

---

(١) أعيان الشيعة ١٤/ ١٠٩.
(٢) العراق بين احتلالين ٣/ ٣٥٢.
(٣) الأعلام ٦/ ٣٣٤ عن تاريخ العراق ٣/ ٣١٥ و٣٥٤.
(٤) منتظم ناصري ٢/ ٩٠، انظر أيضاً: مجموع السيد عبد الحسين كمونة ـ خ ـ.
(٥) دائرة المعارف ٢/ ٢٥٠.
(٦) موارد الإتحاف ٢/ ٥٥ ـ ٥٧.
(٧) أعيان الشيعة ٢٨/ ٣٤٩.
(٨) العراق بين احتلالين ٤/ ٢٧، عن كلشن خلفا ٢١ و٢٧، ونخبة التواريخ.

wadod.org

إن السيد محمد الثاني بن عز الدين حسين بهمته ومقدرته وحسن سلوكه وتدبيره لم يقع أي شيء في بغداد ولم يهرق بها دماً، ومن جراء ذلك أصاب أهل العراق الإحسان من السلطان سليم، فزار الأماكن المقدسة، وأمر ماتبقى من آثار الصفوية بها، وأجرى النهر المعروف بالسليماني إلى مشهد الحسين عليه السلام[١].

وقد ذكره السيد محسن العاملي فقال: «السيد محمد كمونة نقيب المشهدين العلوي والحسيني. كان حياً في أوائل المائة الحادية عشرة، فالسيد محمد هذا أولد من أحمد وحسين»[٢].

٥٦ـ السيد أحمد بن السيد محمد بن عز الدين حسين بن ناصر الدين محمد الحسيني آل كمونة: كان سيداً جليلاً. ولي نقابة المشهد الشريف الغروي، وله ذكر في المشجرات أنه ولي النقابة، وقد كتبت باسمه مشجرة موجودة. أولد علياً، وإبراهيم، وتاج الدين، وشهاب الدين، وبدر الدين، ولعلي وبدر الدين أولاد وعقب إلى الآن في الغري الشريف.

أما السيد علي بن السيد أحمد فكان من أصحاب الشاه طهماسب الصفوي ذكره سام ميرزا بن شاه إسماعيل الصفوي[٣] ما تعريبه: السيد علي كمونة، شاب حسن الطبع والمعاشرة، كان ملازماً بصحبة أخي الشاه طهماسب، وله هذان البيتين:

آدم ازهـــــــــم دمـــــــــى مـــــردم عـــــالـــــم تشـــــديـــــم

تـــــانكشيـــــم ســـــك كـــــوى تـــــو آدم نشـــــديـــــم

فمن ولده: السيد سليمان بيك بن السيد علي. كان سيداً شريفاً جليل القدر عظيم المنزلة، اتصل بالشاه طهماسب الأولَ وصاحبه حتى صار مقرباً عنده ومن أكابر أمرائه، وعند ورود الشاه طهماسب العراق كان واليها من قبل السلطان سليمان خان ذو الفقار، فامتنع عن الطاعة للشاه، فقدم السيد بيك كمونة ومعه أربعمائة شخص فوصلوا بغداد وتغلبوا عليها، وكان معه جمع كثير من أقربائه وعشيرته، فقتل منهم عدد وذلك في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وكان صاحب ختم الشاه، ولما توفي الشاه طهماسب وولي ابنه الشاه محمد الصفوي صار السيد سليمان بك أحد قواده وملازميه حتى فوض إليه داروغة اصفهان، وفي سنة ست وتسعين وتسعمائة توجه جيش الشاه محمد بن الشاه طهماسب إلى بغداد، كان من أمرائه السيد بيك كمونة، ولما ولي الشاه عباس الأول الصفوي قربه إليه وأدناه وفوضه خاتمه وكان ذلك في سنة سبع وتسعين وتسعمائة، وفي سنة ست عشرة من جلوس الشاه عباس الأول توجه جيشه نحو بلخ ومرض أكثر عسكره،

---

(١) موارد الإتحاف ٢/ ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) أعيان الشيعة ١/ ٤٤٩.

(٣) تحفة السامي، طبع طهران، ص٤٥..

wadod.org

ومن مشاهير من توفي السيد بيك كمونة، قال ذلك في تاريخ عالم آرا[١] وأثنى عليه[٢].

٥٧ـ السيد حسين بن السيد محمد بن عز الدين حسين بن ناصر الدين محمد الحسيني: كان سيداً فاضلاً شريفاً، ولي نقابة النجف الأشرف وحكومتها في أيام حكومة الروم، وله جاه وحشمة، ذُكر في عالم آرا[٣] ماتعريبه: كان السيد حسين كمونة من سادات آل كمونة ونقباء النجف الأشرف. وليها أباً عن جد، وكانت النقابة في بيتهم، وكانوا مقربين في الدولة في كل وقت، وكانوا أصحاب جاه وحشمة واقتدار في النجف الأشرف وعند حكومة الروم.

وفي سنة ١٠٣٥ عند فتح شاه عباس الأول عراق العرب لازم السيد حسين كمونة الشاه وحظي عنده بالسعادة لما له من الأهلية، لوفور قابليته وخفة طبعه، فصار محبوباً عند الشاه فالزمه أن يسير في ركابه ويصير من ندمائه فصاحبه ولازمه فمرض وتوفي سنة ١٠٣٦.

وبعد ذلك أنعم الشاه على ولده السيد ناصر وجعله من ندمائه، فالمترجم لما كان في النجف سعى بنجاة العلامة الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن أبي جامع العاملي لما طلبه عمال العثمانيين، كما في خطه وتوقيعه على فدان السادة آل طعمة في الحائر الحسيني في وقفها من السيد طعمة بن السيد علم الدين الموسوي مؤرخة سنة ١٠٢٥ وخطه على بعض المشجرات أيضاً[٤].

٥٨ـ السيد ناصر الدين بن السيد حسين بن محمد النقيب بن عز الدين حسين بن ناصر الدين الحسيني: تقدم باقي نسبه، ولي نقابة الأشراف في الغري الشريف، وبعد وفاة والده حظي عند الشاه عباس الأول وصار من ندمائه، وقد أنعم عليه وقربه لديه[٥] كانت ولايته النقابة في سنة ١٠٣٦ وكان عالماً فاضلاً مجتهداً، وهو ممن صدق على اجتهاد الميرزا عماد الدين محمد الحكيم أبي الخير بن عبد الله اليافعي بعد مجاورته النجف الأشرف خمس سنين وذلك في سنة ١٠٧١ كما صدق معه على الإجازة ولداه العالمين الفاضلين السيد علي، والسيد زامل.

توفي السيد ناصر سنة ١٠٨٥ في عاشر رجب، وهو ممن عاصر الشيخ فخر الدين الطريحي، والشيخ عبد علي الخمايسي، وابنيه الشيخ حسين والشيخ محمد، والشيخ محمد قاسم القنديل، والشيخ عبد المجيد بن عبد العزيز الحويزي نزيل النجف، والسيد علي رضا بن الأمير شرف الدين الشولستاني، والسيد الفاضل العالي النسب السيد منصور كمونة، والملا محمد طاهر الكليدار (السادن) والعالم الفصيح محمد حسين كتابدار بن محمد علي الخادم،

---

(١) عالم آرا ٧٢ و٢٠٩ و٢٦٣ و٢٥٥ و٢٦٦ و٤٣٦.
(٢) موارد الإتحاف ٢/ ٥٩ ـ ٦٠.
(٣) ص٧٥٢.
(٤) ماضي النجف ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، موارد الإتحاف ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.
(٥) عالم آرا ٢٥٢.

wadod.org

وهؤلاء كلهم شركاء النقيب المذكور في التصديق على اجتهاد الميرزا عماد الدين المذكور.

وفي ذلك العصر كانت لهم إمارة الحج، وكان السيد علي بن السيد ناصر المذكور هو أمير الحاج الكفيل لهم، وكان يرسله ولاة بغداد إلى إيران لاستصحاب الحاج معه، ولم يكن عند وفاة والده حاضراً في النجف لذهابه بهذه المهمة.

وله من البنين: العالم الفاضل السيد علي، والسيد زامل، والنقيب السيد حسين، ومحمد، وقاسم، وعبد، وسلمان، وكتبت باسمه مشجرة في النسب موجودة إلى الآن[١].

٥٩ـ السيد حسين بن السيد ناصر الدين بن حسين بن محمد بن عز الدين حسين بن ناصر الدين الحسيني: تقدم باقي نسبه عند ذكر جده الأعلى. كان سيداً فاضلاً. ولي نقابة الغري الشريف بعد وفاة والده، كما في برات بإسمه من السلطان محمد خان العثماني بإعفائه من الضريبة عن مقاطعة هور أبو الحطب، تأريخها في ثامن رجب سنة ١٠٥٨. وكان له من الأولاد الذكور: السيد منصور، وعبد الكريم، وعبد المجيد، وعبد الرسول.

أمّا السيد منصور بن السيد حسين، فكان عالماً فاضلاً معاصراً للعلامة الشيخ فخر الدين الطريحي، والشيخ عبد علي الخمايسي، وغيرهما، وهو ممن صدق على اجتهاد المير عماد الدين محمد حكيم بن عبد الله اليافعي سنة ١٠٧١ وله توقيع في عريضة صدرت من أهالي النجف مرسلة إلى والي بغداد إبراهيم باشا يشكون إليه فيها الضمأ مؤرخة سنة ١٠٩٣[٢]. وكان شاعراً أديباً، له ديوان اسمه (أنيس الغرباء وجليس الكرباء) تاريخ الفراغ من كتابته يوم السادس من شهر صفر ١٠٩٧، وله ديوان ثان اسمه (أبكار الأفكار وأنوار الأنوار في شعر الموال) كان لدى الأستاذ الفاضل السيد صادق كمونة، ومن شعره:

حبيبٌ غارَ منهُ البدرُ لمَّا ... تبدَّا بالسلامِ لنا وحَيَّا
كبدرِ التمِّ حلَّ ببرجِ سعدٍ ... سقى شمساً وَحيَّا بالمُحَيَّا
لقدْ أمسيتُ حياً مثلَ ميتٍ ... وقدْ أصبحتُ ميتا مثل حيا[٣]

ومن شعره يرثي أخاً له:

فؤادي بأيدي النائباتِ قريحُ ... وقلبي لنابَاتِ الزمانِ طريحُ
صحائفُ كتبِ الخائنينَ قريتُها ... ورمزُ جفونِ الخاطفينَ فريحُ
ضميري لأسبابِ الزمانِ صحيفةٌ ... ولبِّي لأحداثِ المصائبِ لوحُ
أخي ياشقيقي يابنَ أُمي ووالدِي ... ثوى وهوَ مصروعُ الحمام طريحُ[٤]

---

(١) ماضي النجف ١/ ٢١١، موارد الإتحاف ٢/ ٦٤.
(٢) مقال للأستاذ يعقوب سركيس، مجلة الاعتدال النجفية، العدد ٢ من السنة ٤.
(٣) الصواب: حيُ.
(٤) موارد الإتحاف ٢/ ٦٤ ـ ٦٥.

wadod.org

٦٠ـ السيد علي بن ناصر الدين بن حسين بن محمد بن عز الدين حسين بن ناصر الدين الحسيني: كان عالماً فاضلاً مجتهداً. ولي إمارة الحاج في زمن والده من قبله ومن بعد وفاته ولي نقابة المشهد الشريف الغروي، وكان هو ممن صدق على اجتهاد المير عماد الدين اليافعي في سنة ١٠٧١، وكان له من البنين: عبد الحميد، وهادي، ومحسن، وبيك.

أمّا عبد الحميد فهو ممدوح الشيخ بشارة بن عبد الرحمن الخاقاني، وقد وعده مع جماعة من السادة والأصحاب أن يخرج بهم إلى الشعاب بجانب الطار في النجف الأشرف في فصل الربيع، فأبطأ في وعده، فأنشأ قائلاً:

فؤادي بالغرام أشبّ نارَهْ ... رشأ بالخدّ أبدى جلّنارهْ
أقولُ البدرُ ثمَّ أقولُ كلاّ ... فنور البدرِ منهُ قدِ استعارَهْ
غزاني في جيوشِ الحسنِ عمداً ... وشنَّ على فؤادي منهُ غارَهْ
فعادَ وقلبيَ المضنى أسيرٌ ... لهُ بالرغمِ إذ عدمَ اصطبارَه
وصارَ يطيعهُ في كلِّ أمرٍ ... وفوّضَ نحوَه فيهِ اختيارَهْ
فلما أنْ تحكّمَ في هواهُ ... وأضحى القلبُ مأواهُ ودارَهْ
رماني في سهامِ الهجرِ ظلماً ... وأحرمني الوصالَ معَ الزيارَهْ
فما لي عَنْ هواهُ مِنْ خَلاصٍ ... خلا ركنَ العلاءِ ومستجارَهْ
وذا عبد الحميدِ أبو المعالي ... فتىً لاتذعرُ الأيامُ جارَهْ
فتىً جدَّاهُ قدْ فازا وحازا ... بفضلِهما الرياسةَ والوزارَهْ
ومَنْ حازَ الكمالَ وحازَ فضلاً ... وكسبُ الجودِ قدْ أضحى شعارَهْ
فتىً أضحى أميرَ الخلقِ طفلاً ... فأحسنَ في رعيتهِ الإمارَهْ
ألا يا أيّها المولى أجرني ... فإني طالبٌ منكَ الإجارَهْ
أجرني مِنْ أناسٍ الجأوني ... فإنّ الحرَّ تكفيهِ الإشارَهْ
غدا مولاكَ معتذراً إليهم ... وهمْ لمْ يسمعوا منه اعتذارَهْ
يقولونُ الشعابُ ازدادَ وَرْداً ... وأخرجَ في مشارعِهِ بهارَهْ
وقد أجرى الحَيا فيه دموعاً ... بها للوردِ قدْ ظهرتْ نضارَهْ
فقمْ يابنَ الحسينِ وسرْ إليهِ ... بجيشِ الجودِ وانهبْ لي ذمارَهْ
وسارعْ واسمحنْ لي في سؤالي ... يقولُ لكَ: البشارةُ يا بشارَهْ
فبذلُ المالِ في ليلِ المعالي ... لَعَمْرِ أبيكَ مِنْ خيرِ التجارَهْ[1]

٦١ـ السيد منصور بن محمد بن محسن بن علي بن ناصر الدين بن السيد حسين بن السيد محمد بن عز الدين حسين الحسيني: تقدم باقي نسبه، من آل كمونة، كان نقيب المشهد الغروي

(١) نشوة السلافة ومحل الإضافة، انظر: ماضي النجف ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، موارد الإتحاف ٢/ ٦٥ ـ ٦٦.

wadod.org

على مشرفه السلام.

ذكر وصفه السيد علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني[١]، والسيد ضامن بن شدقم في تحفة الأزهار في ترجمة هاشم بن جماز بن فياض: أن أمه بنت السيد منصور المذكور، وذكر بأنه كان نقيب المشهد الغروي، وذكر في مشجرة آل كمونة أن له ولداً اسمه عبد الله[٢].

٦٢ـ السيد مراد بن السيد أحمد: ولي نقابة المشهد الشريف الغروي وحكومة النجف، وذلك بعد أن حدث نزاع بين الملا يوسف المتولي لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام وبين السيد عباس بن السيد مصطفى النقيب، فأدى إلى ترك السيد عباس وظيفته من النقابة فعين لها السيد مراد.

وذكر في روضة الصفا ما تعريبه: «كان أديباً كاملاً، ولي نقابة المشهدين الغروي ومشهد الحائر الحسيني».

وله شعر جميل منه: تخميسة لبيتي ابي الحسن التهامي اللذين استشهد بهما السلطان مراد. قال:

علـيٌّ أميـرُ النحـلِ عـالـي جنـابِـهِ شِفـاءٌ مِـنَ الأسقـامِ مـنْ تـرابِـهِ
ومـنْ أجـلِ سـرٍّ مـودَعٍ فـي رحـابِـهِ (تـزاحـمُ تيجـانِ الملـوكِ ببـابِـهِ
ويكثـرُ عنـدَ الاستـلام ازدحـامُهـا)
أمـامٌ قنـاهُ لـلاعـادي تنصّلـتْ وكـمْ نقمـةٍ منـهُ لهـمْ قـدْ تعجّلـتْ
لهيبتِـهِ صِيـدُ الملـوكِ تـذلّلـتْ (إذا مـارأتْـهُ مِـنْ بعيـدٍ تـرجّلـتْ
وإنْ هـيَ لـمْ تفعـلْ تـرجّـلَ هـامهـا)[٣]

اجتمع به السيد عباس الموسوي المكي سنة ١١٣٢ عند دخوله إلى النجف، كما قال: «واجتمعت بالسيد السند المعتمد، الأيّد الأمجد، الأنجد الأسعد، مولانا السيد مراد حاكم المشهد[٤]. وقفت على كتاب «بحر الأنساب» أوله: الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً وجعله نسباً وصهراً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله... إلخ»، كتبه الشيخ محمد علي موحي الخيقاني صاحب نشوة السلافة لهذا النقيب كما كتب في آخره[٥].

---

(١) زهرة المقول ص ٣٩.
(٢) موارد الإتحاف ٢/ ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) سمير الحاضر وأنيس المسافر ـ مخ ـ للشيخ علي كاشف الغطاء.
(٤) نزهة الجليس.
(٥) إن هذا الكتاب المسمى «بحر الأنساب» تأليف العلامة الجليل أبي عبد الله الحسين بن أبي طالب محمد بن القاسم بن علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسني، وهو النسابة الشهير بابن طباطبا. كان في بغداد وهو أستاذ أبي الحسن علي بن أبي الغنائم صاحب المجدي، وهذه النسخة موجودة اليوم في مكتبة مشهد علي بن موسى الرضا عليهما السلام في طوس، انتقلت إليها من مكتبة =

wadod.org

وكانت داره مجاورة للصحن الشريف من جهة باب القبلة، ثم شيّدت عليها قيسارية الحاج علي آغا الشهيرة، وكان هناك طاق متصل بجدار الصحن الشريف وداره، فإذا أغلق أبواب الصحن صعد إلى الطابق العلوي من الصحن، وهناك مسلك ينتهي إلى داره. وكانت في داره بئر كبيرة قد وقفها للاستقاء، وقد ارّخ عام وقفها الشيخ علي بن أحمد العاملي الملقب بالفقيه بأبيات كما في ديوانه المخطوط ـ يقول فيها ـ:

بشرٌ أعُدَّتْ للسقايةِ في الورَى ... طُوبى لمنشئِها غداً في المحشرِ
الهاشميُّ أبي سلالةِ أحمدٍ ... خيرِ الورى مَنْ كانَ أشرفَ عنصرِ
يوحِي إلى وزّادِها تاريخُها ... (أبِذَا ردوا منها مياهَ الكوثرِ)

سنة ١١٢٨هـ

كان حياً إلى سنة ١٢٠٠هـ.

توفي في النجف ودفن في الايوان الكبير الذي دفن فيه السيد جواد الرفيعي تحت الميزاب الذهبي في الصحن الشريف[1].

لم نصل إلى معرفة نسب هذا الشريف فقد قيل أنه من السادة النقباء، وقيل أنه من العميديين.

وذكروا أن له ذرية في الحلة.

٦٣ـ السيد علي بن السيد مراد بن السيد أحمد: ولي نقابة النجف الأشرف وحكومتها بعد وفاة والده. وهو من الأمراء الذين يحضرون معركة الخميس، ثم ولي حكومة الحلة سنة ١١٩٢، وقد أرخ عام حكومته هذه الشاعر الشهير السيد محمد زيني بقصيدة مثبتة في ديوانه المخطوط، مطلعها:

بشرى فبدرُ العُلى مِنْ مطلعِ الأزَلِ ... بدا مُضيئاً لأهلِ السهلِ والجبلِ
بشرى وبشرى بما جاءَ الزمانُ بهِ ... مِنْ صبحِ يمنٍ على الأيامِ مقتبلِ
بشرى بصفوٍ هناً ماشابَهُ كدرٌ ... وطيبِ عيشٍ هنيءِ العَلِّ والنَهَلِ
اليومَ قدْ أنجزَ الإقبالُ موعدَهُ ... لنا وحققَ منا صادقَ الأملِ

إلى أن قال مؤرخاً:

وأقبلْ هديةَ مَنْ أحيا الظلام لها ... عجالةَ السراكب الساري على عجلِ

= العلامة السيد أبي الحسن الموسوي الاصفهاني وهذا الكتاب من جملتها، ولدي نسخة مصوّرة منها، فالسيد مراد بن السيد أحمد له ولد اسمه السيد علي.

(١) ترجمته في: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣١٦ ـ ٣١٧، موارد الإتحاف ٧٠ ـ ٧١.

wadod.org

وطـــار قلـــبُ العِـــدا ممـــا يـــؤرخُـــهُ: (قـــدْ عمَّـــرَ الحلـــةَ الفيحـــاءَ حكـــمُ علـــي)[١]
(سنة ١١٩٢)

وللسيد محمد زيني شعر كثير في تهاني السيد علي بن السيد مراد، في ولادة بعض أولاده وختانهم، قال في ختان أولاده مهنئاً ومؤرخاً من قصيدة مطلعها:

سطعـــتْ لكـــمْ شمـــسُ المســـرّةِ والهنـــا فجـــلا ســـناهـــا عنكـــمُ ليـــلُ العَنـــا
وأمـــدَّكـــمْ صبـــحُ السعـــادةِ مسفـــراً عَـــنْ وجـــهِ يُمْـــنٍ قـــدْ تهلّـــل بـــالهَنـــا

إلى أن قال:

أعلـــيُّ يـــانجـــلَ الكـــرامِ ومَـــنْ سمـــا قـــدراً لـــهُ غـــدتِ الثـــريـــا مـــوطِنـــا
يهنيـــكَ بـــالابنـــاءِ يـــومُ ختـــانِهـــمْ ولتقـــررنَّ بيـــوم عُـــرسِ أعينـــا
خـــذهـــا ابنـــةَ الفكـــرِ المهـــذبِ تبتغـــي حســـنَ الـــرضـــا إذ كَنـــتَ منهـــا أحسنـــا
جـــاءتْ وقـــدْ بَهَـــرَ الـــورى تـــأريخُهـــا: (دامَ الســـرورُ بكـــمْ ودُمتـــمْ للهَنـــا)
سنة ١٢١٠

وقال مؤرخاً عام ولادة السيد أحمد بن السيد علي بن السيد مراد من قصيدة، مطلعها:

بُشـــرى فطيـــرُ السعـــدِ عـــاد يغـــرِّدُ إذ طـــابَ عيشُكـــمُ وطـــابَ المَـــوردُ
اللـــهُ أعطـــانـــا المُنـــى وصنيعُـــهُ ســـرّاً وجهـــراً عنـــدنـــا لايُجحَـــدُ
فمِـــنَ المـــواهـــبِ والعطـــايـــا أنَّـــهُ وُلِـــدَ الجليـــلُ ابـــنُ الجليـــلِ الأمجـــدِ
تلـــكَ العطيـــةُ لا عطيـــةَ فـــوقَهـــا فـــاللـــهَ أحمـــدُ أنْ تـــولَّـــدَ أحمـــدُ
فهـــلِ النســـاءُ ولـــدنَ يـــومـــاً مثلَـــهُ هيهـــاتَ إنَّ مثيلَـــهُ لايُـــولـــدُ

إلى أن قال:

أعلـــيُّ يـــانجـــلَ الاطـــائـــبِ هـــاكَهـــا لـــكَ تحفـــةً جـــاءتْ بمـــدحِـــكَ تُنشَـــدُ
هُنئـــتَ بـــالـــولـــدِ الممجـــدِ أحمـــدٍ هـــو نعمـــةٌ والشكـــرُ فيهـــا يُحمـــدُ
وبيـــومِ مـــولـــدِهِ أتَيـــتُ مـــؤرخـــاً (سـرَّتْ بمقـدمـكَ الـورى يـا أحمـدُ)[٢]
سنة ١١٧٧هـ

٦٤ـ **السيد مصطفى**: ولي نقابة المشهد الشريف الغروي، بموجب فرمان بتوليته مؤرخ في ٢٨ شباط ١١٧٦ مارتية «وأنا لم أعثر على ترجمة مفصلة له، ولا على سياق نسبه، ولم أعلم هل

(١) وفي أيدي آل الحكيم الخدمة صك مؤرخ سنة ١٢٦٢ فيه بيع دكان خارج من دار السيد مراد العتيقة والبائع بنته صالحة وولده السيد علي. وهو في سوق الهنود المتصل بالصحن الشريف من جهة القبلة، وهو خارج من قيسارية حاج علي آغا، يظهر أن القيسارية هذه هي داره ـ ذهب هذا الدكان والقيسارية بإنشاء الشارع الجديد المحيط بالصحن الشريف.

(٢) ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣١٧ ـ ٣١٨، موارد الإتحاف ٢/ ٧١.

wadod.org

هو من آل فاخر المتقدم ذكرهم أو أنه من آل العميدي»[١].

وقد ذكر الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي في أرجوزته[٢] عند وصفه لنقباء الغري الشريف:

ومنهم الصِّيدُ بنو العميدِ ذوو الحجى والمنهجِ السديدِ

ثم ذكر في نظمه سدنة الحرم الشريف العلوي، وهم آل الملا، وقال:

لأنَّ عقدَ النقباءِ انحلاّ في ذلكَ العصرِ الذي تولّى
وبقيَ اللفظُ مِنَ النِّقابَهْ بغيرِ معنىً يكتسي ثيابَهْ
فكمْ نقيبٍ نالَ تلكَ اللفظةْ ولمْ يجدْ إلاّ بتلكَ حظَّهْ
كالمصطفى وكابنِهِ العباسِ وكمرادِ ذي النَّدى والبأسِ

ومن أولاده علي، وحسين، وعباس[٣].

٦٥ـ السيد حسين بن السيد مصطفى: ولي النقابة بعد والده، وكان معاصراً للسيد محمد المهدي بحر العلوم الطباطبائي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، وكان هذا النقيب حياً في حدود سنة ١١٩٩ بهذا التاريخ على بعض الأوراق، وابنه السيد أحمد[٤].

وفي بداية القرن الثالث عشر بان ضعف النقابة، وانحلال رابطتها، فانتقلت السدانة إلى آل الرفيعي، وحصلت نزاعات بين السيد حسين بن السيد مصطفى والملا يوسف الكليدار أدَّت إلى نزوح هؤلاء السادة النقباء عن النجف، وتوطنوا منطقة (الزرفية)[٥] ـ بين الحلة والديوانية سميت أخيراً بناحية (الطليعة) وهي اليوم من أعمال محافظة بابل.

٦٦ـ السيد عباس بن السيد مصطفى: ولي النقابة، وله من الأولاد محمد، فمحمد أعقب صالحاً. ولم يبق من هذا البيت في النجف أحد، فقد نزحوا إلى (الزرفية). ومن أولاده السيد مصطفى[٦].

٦٧ـ السيد علي بن السيد مصطفى: ذكره السيد محمد بن السيد أحمد بن زين الدين علي الحسني في ديوانه مادحاً له بقصيدة في قرانه أولها:

بشرى بصبحٍ مِنَ الإقبالِ منفجرِ وصفوِ عيشٍ لكمْ ماشيبَ بالكدرِ
وروضةُ الأنسِ والإفراحِ قد سُقِيتْ بصيِّبٍ مِنْ سحابِ العيشِ منهمرِ

---

(١) موارد الإتحاف ٢/ ٦٩.
(٢) عنوان الشرف في وشي النجف ٢/ ٧١.
(٣) موارد الإتحاف ٢/ ٦٩.
(٤) م. ن.
(٥) ماضي النجف ١/ ٣١٤ ـ ٣١٥.
(٦) م. ن.

wadod.org

إلى أن يقول فيها:

تـرى الليـالـي علـى الأيّـام طـائلـةً ... إذ كـانَ فيهـا قـرانُ الشمـسِ والقمـرِ
عـرسُ الجليـلِ علـى مـا جـاءَ يكسبُنـا ... مِـنَ المنـى والتهـانـي كـلَّ مـدخـرِ
فـإنـهُ المصطفـى إن تنمـهِ كـرمـاً ... للمصطفـى ينتمـي فـي كـلِّ مفتخَـرِ
آبـاؤه السـادةُ الغـرُّ الكـرامُ ومَـنْ ... كـانـوا الحُمـاةَ لصـرفِ الـدَّهـرِ والغِيَـرِ

إلى أن قال في تاريخه:

جـاءتْ إليكـمْ بتـاريـخٍ لعـرسِكُـمُ ... يقـرُّ بـالعجـزِ عنـهُ كـلُّ مقتـدِرِ
إليكـمُ السعـدُ قـدْ وافـى مـؤرخُـه ... (بـدا بهـاءُ قـرانِ الشمـسِ والقمـرِ)[1]

سنة ١١٧٥هـ

٦٨ـ السيد هادي (النقيب) بن سادن الروضة الحيدرية السيد جواد بن سادن الروضة الحيدرية السيد رضا بن محمد بن حسين بن محمد بن أبي عبد الله الحسين الملقب رفيع الدين بن عماد الدين بن حمود بن عز الدين حسن بن شرف الدين علي بن تاج الدين محمد بن حسام الدين علي بن كريم الدين نزار بن شمس الدين حسن بن برهان الدين حسين بن أمين الدين محمد بن كمال الدين حسن كياكي بن علي بن القاسم بن محمد بن القاسم بن إبراهيم العسكري بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

كان سيداً جليل القدر عظيم المنزلة، ولي نقابة المشهد الشريف الغروي. وذلك بعد أن انحلت النقابة زمناً وأسندت نقابة النجف والحائر إلى السيد عبد الله بن سالم الحيدري من أهالي بغداد، من أبناء السنة حسب أمر السلطان عبد الحميد العثماني القاضي بإسناد نقابة الغري الشريف والحائر إلى شخص يكون على مذهب التسنن، وكذا في سائر أطراف العراق، ولما كان أشراف أهل الحرمين كلهم على مذهب التشيّع، فلذا عيّن لنقابة النجف والحائر السيد عبد الله بن سالم الحيدري.

وفي فترة الاحتلال البريطاني للعراق، فصلت نقابة الأشراف في النجف عن سدانة الروضة الحيدرية، حيث إن آخر من تولاهما سوية هو السيد محمد حسن بن السيد جواد بن السيد رضا الرفيعي، وبعد وفاته تقلد السدانة السيد أحمد بن السيد محمد حسن، وتقلد النقابة السيد هادي المذكور.

ولما تشكلت الحكومة العراقية عام ١٩٢١م، صدر قرار باستمرار السيد هادي المذكور نقيباً للأشراف، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م[2].

وكان السيد هادي من أعيان الرجال، ومثالاً للأخلاق الجميلة، سيداً شريفاً من أهل الجاه والاعتبار.

---

(١) م.ن ٢/ ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) موارد الإتحاف ٢/ ٧٢.

wadod.org

٦٩ـ السيد حسين (النقيب) بن السيد هادي بن السيد جواد الرفيعي: ولد في النجف عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

وتولى نقابتها بعد وفاة والده، وكان مجلسه كمجلس أبيه وجده، ملتقى العلماء والأدباء والمثقفين، ورؤساء العشائر، والزعامات السياسية، وممثلي السلطة الوطنية، والإدارة المحلية. إضافة إلى كونه مضيفاً للوافدين إلى النجف من الملوك والرؤساء والزعماء.

انتخب نائباً عن لواء كربلاء في الدورة الانتخابية السادسة للفترة من ٨ آب ١٩٣٥ ـ ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، والدورة التاسعة من ١٢ حزيران ١٩٣٩ ـ ٩ حزيران ١٩٤٣، والعاشرة من ٩تشرين الأول ١٩٤٣ ـ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦، والثانية عشرة من ٢١ حزيران ١٩٤٨ ـ ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٢.

انتمى إلى حزب الإخاء الوطني الذي أنشأه ياسين الهاشمي وكان من أعضائه البارزين وذلك قبل الحرب العالمية الثانية.

كان أحد أعضاء الوفد البرلماني العراقي إلى مؤتمر البرلمانيين العرب الذي عقد في القاهرة عام ١٩٣٨، وإلى اجتماعات مؤتمر البرلمانيين الذي عقد في دمشق بعد مؤتمر القاهرة.

توفي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م.

وبوفاته انتهت أمور نقابة الأشراف في النجف إسماً ورسماً.

المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطة:

● **تذكرة الأنساب المطهرة**: لجمال الدين، أحمد بن محمد بن مهنا العبيدلي (ت٦٧٥هـ) يحتفظ الباحث بنسخة مصورة منه.

● **حبيب السير في أخبار أفراد البشر**: لغياث الدين محمد بن همام الدين، المعروف بـ: «خواند مير» (ت٩٤٢ أو ٩٤١هـ). نسخ من أجزاءه وقطع منه محفوظة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة في النجف.

● **الحصون المنيعة في طبقات الشيعة**: للشيخ علي بن محمدر ضا آل كاشف الغطاء (ت١٣٥٢هـ) نسخته المخطوطة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف برقم ٧٤٩.

● **سبك الذهب في شبك النسب**: يحتفظ الباحث بنسخة مصورة منه.

● **سمير الحاضر وأنيس المسافر**: للشيخ علي بن محمد رضا آل كاشف الغطاء (ت١٣٥٢هـ) نسخته المخطوطة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف.

● **مجموع السيد عبد الحسين كمونة**: يحتفظ الباحث بنسخة مصورة منه.

ب ـ المطبوعة:

● **الأحكام السلطانية**: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت٤٥٠هـ) ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

wadod.org

● **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين:** لخير الدين الزركلي (ت١٩٧٦م) ط٤/ دار العلم للملايين ١٩٧٩م.

● **إعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء:** ط حلب ١٣٤٣هـ.

● **أعيان الشيعة:** للسيد محسن الأمين الحسيني العاملي (ت١٣٧١هـ) ط دمشق وبيروت إبتداءً من ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

● **بحر الأنساب المشجّر:** يحتفظ الباحث بنسخة مصورة منه.

● **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الزبيدي الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ) ط مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧هـ.

● **تأريخ بغداد:** للخطيب أبي بكر بن علي بن ثابت البغدادي (ت٤٦٣هـ) ط مصر ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.

● **تأريخ التمدن الإسلامي:** لجرجي زيدان، ط دار الهلال ـ مصر ١٩٣١م.

● **تأريخ الحلة:** للشيخ يوسف كركوش الحلي ـ مط الحيدرية ـ النجف ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

● **تأريخ العراق بين احتلالين:** لعباس العزاوي المحامي، ط بغداد ١٣٧٠ ـ ١٣٧٦هـ، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦م.

● **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام:** للسيد حسن الصدر الموسوي الكاظمي (ت١٣٥٤هـ) ط بغداد ١٩٥١م.

● **تحفة الأزهار، وزلال الأنهار، في نسب أبناء الأئمة الأطهار:** للسيد ضامن بن شدقم الحسيني المدني (ت بعد ١٠٩٠هـ) تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري، ط طهران ـ إيران.

● **تلخيص مجمع الاداب في معجم الألقاب:** لابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت٧٢٣هـ)، تحقيق د. مصطفى جواد ـ ط دمشق ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م.

● **الحوادث الجامعة، والتجارب النافعة، في المئة السابعة:** لابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت٧٢٣هـ) تحقيق د. مصطفى جواد، ط بغداد ١٣٥١هـ/ ١٩٣١م.

● **الخطط المقريزية، المسمى بـ(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار):** للمقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ) منشورات العرفان ـ مط الساحل الجنوبي ـ الشياح ـ لبنان.

● **دائرة المعارف الإسلامية:** نقلها إلى العربية، محمد ثابت أفندي وجماعته، ط مصر ١٩٣٣ ـ ١٩٥٧م.

● **دول الإسلام:** للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨) ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٣٧هـ.

● **الذريعة إلى تصانيف الشيعة:** للشيخ آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) ط النجف، إبتداءً

wadod.org

من ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

● **رحلة ابن بطوطة: لأبي عبد الله**، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ) ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

● **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**: لمحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني ط١٣٠٧هـ، ثم ط حجر ١٣٦٧هـ.

● **زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول**: لعلي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني (ت ١٠٣٣هـ) تقديم السيد محمد حسن آل الطالقاني، ط النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

● **سر السلسلة العلوية**: لأبي نصر، سهل بن عبد الله بن داود البخاري (كان حياً سنة ٣٤١هـ) تقديم وتعليق السيد محمد صادق بحر العلوم، ط النجف ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

● **شرف الأسباط**: لمحمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ـ مط الترقي ـ دمشق ١٩١١م.

● **الشرف المؤبد لآل محمد**: ليوسف بن إسماعيل النبهاني، ط بيروت ١٢٠٩هـ.

● **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: للقلقشندي: أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) ط دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

● **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**: لجمال الدين، أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبة (ت٨٢٨هـ) ط النجف ١٩٨٨م.

● **عنوان الشرف في وشي النجف**: للشيخ محمد طاهر السماوي ـ ط النجف ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

● **غاية الإختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار**: ينسب إلى تاج الدين محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني الحلبي (كان حياً ٧٥٣هـ) تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ط النجف ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

● **الفخري في أنساب الطالبيين**: للسيد عزيز الدين، أبي طالب إسماعيل المروزي الأزورقاني (ت بعد ٦١٤هـ) تحقيق السيد مهدي الرجائي، نشر مكتبة السيد المرعشي النجفي ـ قم ١٤٠٩هـ.

● **الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة**: للشيخ آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، تحقيق علي نقي منزوي، ط طهران ١٣٧٢هـ.

● **لؤلؤة البحرين**: للشيخ يوسف البحراني (ت١١٨٦هـ) تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط النجف.

● **ماضي النجف وحاضرها**: للشيخ جعفر باقر محبوبة (ت ١٣٧٨هـ) ط النجف ١٣٧٦ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م.

● **مجالس المؤمنين**: للقاضي نور الله التستري (ت١٠١٩هـ) ط حجري ـ طهران.

● **المجدي في أنساب الطالبيين**: لنجم الدين، أبي الحسن علي بن محمد بن علي العلوي

wadod.org

العمري النسّابة (من أعلام القرن الخامس الهجري) تقديم السيد شهاب الدين المرعشي، تحقيق: د. أحمد المهدوي الدامغاني، ط إيران ١٤٠٩هـ.

● **مجمع الآداب في معجم الألقاب**: لابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ) طبع قسم منه في لاهور، ١٩٤٠، ثم طبع بتحقيق محمد الكاظم، إيران ١٤١٦هـ.

● **مرآة الزمان في تأريخ الأعيان**: لسبط ابن الجوزي، أبي المظفر يوسف شمس الدين (ت٦٥٤هـ) ج٨، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

● **مستدرك الوسائل**: للميرزا حسين النوري الطبري (ت١٣٢٠هـ) مط دار الخلافة ـ طهران ١٣١٨ ـ ١٣٢١هـ.

● **مصفى المقال في مصنفي علم الرجال**: للشيخ آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، ط٢ بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

● **معجم البلدان**: لياقوت الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ) ط مصر ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥هـ.

● **مناهل الضرب في أنساب العرب**: للسيد جعفر الأعرجي الحسيني ـ ط قم.

● **منية الراغبين في طبقات النسابين**: للسيد عبد الرزاق كمونة الحسيني (ت ١٣٩١هـ) ط النجف ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

● **موارد الإتحاف في نقباء الأشراف**: للسيد عبد الرزاق كمونة الحسيني (ت ١٣٩١هـ) ط النجف.

● **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**: انظر: الخطط المقريزية.

● **نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر**: للشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسيني اليمني الصنعاني (ت ١١٢١هـ) تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.